الجهود التربوية للإمام زَرُّوق في خدمة علم التصوف والسلوك
كتاب قواعد التصوف أنموذجا

عمر محمد محمد أبوشعالة
طالب دكتوراه بالأكاديمية الليبية/ فرع مصراتة، قسم علوم التعليم، ليبيا
عضو هيئة تدريس بدرجة أستاذ مساعد بقسم التربية وعلم النفس/ كلية التربية/ جامعة مصراتة/
omar.abushaala@edu.misuratau.edu.ly

استلمت الورقة بتاريخ 2024/07./12، وقبلت بتاريخ 2024/07/25، ونشرت بتاريخ 2024/08/01

الكلمات المفتاحية: الجهود التربوية للشيخ زروق- التصوف والسلوك- قواعد التصوف.

الملخص

الهدف العام لهذا البحث: هدف هذا البحث إلى التعرف على بعض الجهود التربوية للإمام زروق في خدمة علم التصوف والسلوك، ويعتبر كتاب" قواعد التصوف أنموذجا" لتلك الجهود التربوية بشكل عام، والجهود التربوية الإسلامية الروحية والسلوكية بشكل خاص، وقد اتبع الباحث المنهج الوصفي بأنواعه المختلفة: الاستقراء والاستنباط؛ والتحليل، وكذلك المنهج التاريخي؛ وذلك من أجل الوصول إلى بعض الحقائق والنتائج المرتبطة بموضوع البحث، وقد تمثلت مشكلة البحث في محاولة الإجابة على السؤال التالي:

ما هي الجهود التربوية للإمام زروق في خدمة علم التصوف والسلوك، المضمنة في كتابه" قواعد التصوف"؟ وللإجابة على هذا السؤال تطلب أن تكون خطة البحث مكونة من الآتي:

مقدمة، ثم المبحث الأول: علاقة التربية بعلم التصوف والسلوك، وتحته مطالب، ثم المبحث الثاني: التعريف بالإمام زّروق وآثاره، وجهوده في خدمة علم التصوف والسلوك، وتحته مطالب أيضا، ثم المبحث الثالث: بعض نماذج الجهود التربوية للإمام زروق في كتابه قواعد التصوف، وتحته مطالب، ثم الخاتمة: وفيها تم تلخيص أهم النتائج: 1- اتضح لنا من خلال هذا البحث قيمة الجهود التربوية التي قدمها الإمام زروق للأمة الإسلامية من خلال العديد من كتبه، ومنها كتاب قواعد التصوف. 2- اتضح لنا من خلال عرض بعض النماذج من قواعده ما تضمنته من مبادئ وقيم تربوية رفيعة. 3- اتضح لنا من خلال البحث كثرة ما تركه شيخ زروق من كتب في مجالات متنوعة وأكثرها ما يتعلق بعلم التصوف والسلوك.

وقدمت بعض التوصيات والمقترحات.
. وأخيرا: المراجع والمصادر: التي تم الرجوع إليها لإعداد هذا البحث.

الباحث

1. المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد النبي الرسول الأمين. وبعد ؛؛؛

فإن البحث من أجل الكشف والتعريف ببعض جهود علماء ليبيا في خدمة علوم الشريعة تحت شعار (حفظ موروثنا العلمي، حفظ هويتنا)؛ يعتبر من الأبحاث المهمة؛ والتي تدعو أي باحث متحمس إلى السعي الحثيث للمشاركة فيها بما يتاح له من إمكانيات متوفرة.

إن جهود علماء ليبيا في خدمة علوم الشريعة لا تقل عن جهود العلماء في البلدان العربية والإسلامية الأخرى؛ فليبيا كما يقال ولادة للرجال الأبطال، والعلماء والمجاهدين منذ قديم الأزمان، وهي فخر لكل أبنائها وبناتها، ولو تأمل كل مواطن ليبي لوجد على الساحة الليبية من أسماء العلماء الليبيين الذين خدموا علوم الشريعة الكثير والكثير؛ فما بالك بالبحاث الذين أتيح لهم الاطلاع وفقا لتخصصاتهم على الكثير من المصادر والمراجع.

والباحث عندما اطلع على مطوية المؤتمر العلمي الدولي المخصص للتعريف ب(جهود علماء ليبيا في خدمة علوم الشريعة) الذي ينظمه قسم الفلسفة والدراسات الإسلامية بمدرسة العلوم الإنسانية بالتعاون مع معهد تنمية الموارد البشرية بالأكاديمية الليبية فرع مصراتة في الفترة 13-7-2024؛ أخذه الحماس إلى المشاركة في هذا المؤتمر بالتعريف بجانب مهم من جهود بعض العلماء الليبيين في محور له ارتباط بتخصصه التربوي، والذي قد يكون خافيا على الكثير من الناس.

وعلماء ليبيا كثر؛ حيث يحار الباحث عن أيهم يبحث أو يكتب ويعرف، وقد تكون مسيرة حياة بعضهم موغلة في القدم، وقد يكون بعضهم في العصر الحديث والمعاصر، وقد يكون بعضهم له مجهودات كبيرة في الحياة، ولكنه لم يترك تراثا مكتوبا، وقد يكون بعضهم له جهود ولكن المراجع والمصادر المسعفة غير متوفرة.

وبعد أخذ ورد؛ قرر الباحث أن يكون بحثه في عَلَم من أعلام ليبيا؛ بل علم من أعلام عالمنا الإسلامي برمته؛ كان له تأثير كبير جدا في خدمة علوم الشريعة على اختلاف تنوعها وتصنيفها؛ إنه عالمنا والإمام والشيخ والولي الجليل (شيخ زَروق) دفين (قرية الزروق) المسماة باسمه، بمدينة مصراتة بليبيا.

الهدف العام لهذا البحث: لقد **هدف** هذا البحث إلى التعرف على بعض الجهود التربوية للإمام زروق في خدمة علم التصوف والسلوك، ويعتبر كتاب" قواعد التصوف أنموذجا" لتلك الجهود التربوية بشكل عام، والجهود التربوية الإسلامية الروحية والسلوكية بشكل خاص، وقد يعتقد البعض أن شيخ زروق لم يكتب إلا في المجال العلمي الذي لا علاقة له بالتربية، والصحيح أن شيخ زروق له باع طويل في المجال التربوي، وقد يكون ذلك خفيا على البعض؛ بينما هو مبثوث في طيات نصوصه؛ وحقيقة؛ هذا ما هدف إليه هذا البحث، وهو الكشف عن الذخائر التربوية التي قد تكون خافية بين السطور.

وقد اتبع الباحث **المنهج** الوصفي، مستخدما أنواعه المختلفة: كمنهج الاستقراء والاستنباط والتحليل، وكذلك المنهج التاريخي، وكل ذلك من أجل الوصول إلى بعض الحقائق والنتائج المرتبطة بموضوع البحث.

وقد تمثلت **مشكلة** البحث في محاولة الإجابة على السؤال التالي:

ما هي الجهود التربوية للإمام زروق في خدمة علم التصوف والسلوك، المضمنة في كتابه" قواعد التصوف"؟

وللإجابة على هذا السؤال تطلب أن تكون خطة البحث مكونة من الآتي:

مقدمة.

المبحث الأول: علاقة التربية بعلم التصوف والسلوك، وتحته ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: تعريف التربية لغة واصطلاحا.
- المطلب الثاني: تعريف التصوف والسلوك.
- المطلب الثالث: علاقة التربية بعلم التصوف والسلوك.

المبحث الثاني: التعريف بالإمام زَروق وآثاره، وجهوده في خدمة علم التصوف والسلوك، وتحته مطلبان:

- المطلب الأول: التعريف بالإمام زَرُّوق.
- المطلب الثاني: جهوده في خدمة علم التصوف والسلوك.

المبحث الثالث: بعض نماذج الجهود التربوية للإمام زروق في كتابه قواعد التصوف، وتحته خمسة مطالب، خصص الأول منها للتعريف بكتاب قواعد التصوف، والأربعة الأخرى لذكر بعض النماذج التربوية المضمنة في كتابه "قواعد التصوف"، وقد ميزت المطالب الأربعة بالحروف الأبجدية، والمطالب الخمسة للمبحث الثالث كما يلي:

المطلب الأول: التعريف بكتاب قواعد التصوف.

المطلب الثاني: بعض الجهود التربوية المضمنة في كتابه "قواعد التصوف" (أ).

المطلب الثالث: بعض الجهود التربوية المضمنة في كتابه "قواعد التصوف" (ب).

المطلب الرابع: بعض الجهود التربوية المضمنة في كتابه "قواعد التصوف" (ج).

المطلب الخامس: بعض الجهود التربوية المضمنة في كتابه "قواعد التصوف" (د).

واكتمل البحث بالخاتمة وبعض النتائج والتوصيات والمقترحات: وفيها تم تلخيص ما توصل إليه البحث من نتائج، وأخيرا: قائمة بالمراجع والمصادر التي تمت الاستعانة بها لإنجاز هذا البحث. وفيما يلي عرض لتلك المباحث:

2. المبحث الأول: علاقة التربية بعلم التصوف والسلوك

يتضمن هذا المبحث التعرف على علاقة التربية بعلم التصوف والسلوك، وتحته ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: تعريف التربية لغة واصطلاحا.
- المطلب الثاني: تعريف التصوف والسلوك.
- المطلب الثالث: علاقة التربية بعلم التصوف والسلوك. فإلى تلك المطالب:

أ. المطلب الأول: تعريف التربية لغة واصطلاحا:

التربية في اللغة: التربية على الأصح أنها مأخوذة: من ربا الشيءُ يربُو رُبُواً ورباء بمعنى زاد ونما، وأربيته نميته، ومنه: ربَّيتُ فلانا أربيه تربية: أي غذوته، وهو لكل ما ينمي كالولد والزرع ونحوه. انظر (ابن منظور، د ت، مج 3، ص ص 1572، 1574، حرف الراء، مادة: ربا يربو)[1]، وفي المعجم الوجيز (مجمع اللغة العربية، 2004، ص 253) "ربّاه: نشّأه، ونمى قواه الجسدية والعقلية والخلقية".

نلاحظ أن من معاني التربية لغة الدلالة على معنى الزيادة والنمو، وكذلك التنشئة والتنمية.

أما التربية **اصطلاحا**: فقد تعددت التعريفات إما حسب تاريخ عصرها، أو اختلاف مجتمعاتها، أو فلسفة علمائها؛ ومن أجل الاختصار فسنختار منها ما ينسجم مع التربية الحديثة عامة، ولا يتعارض مع التربية الإسلامية خاصة؛ ومن تلك التعريفات العامة:

أن التربية هي: عملية تكيف وتفاعل بين الفرد وبيئته التي يعيش فيها، سواء أكانت هذه البيئة طبيعية أم اجتماعية، والتربية عملية طويلة الأمد، ولا نهاية لها إلا بانتهاء الحياة. (الخالدي، 2008، ص 18).

وقد تعني التربية: تعويد الطفل على التفكير الصحيح والحياة الصحيحة بما تزوده من معارف وتجارب تنمي عقله ووجدانه وميوله ومواهبه وتعوده العادات الحسنة، وتجنبه العادات السيئة؛ فينشأ قوي الجسم، حسن الخلق، سليم العقل، متزن الشخصية، قادرا على أداء رسالته في الحياة.(العمراني، 2014، ص 20).

أما التعريف الخاص للتربية وفقا لفلسفة التربية الإسلامية فإنها: تنشئة الإنسان شيئا فشيئا في جميع جوانبه؛ ابتغاء سعادة الدارين؛ وفق المنهج الإسلامي. (الحازمي، 2000، ص 19).

ويمكن تعريف التربية الإسلامية بأنها: تنشئة وتكوين الإنسان المسلم متكاملا من جميع نواحيه المختلفة الجسمية والصحية والعقلية والنفسية والاعتقادية والروحية والأخلاقية والإرادية والإبداعية في جميع مراحل نموه في ضوء المبادئ والقيم التي أتى بها الإسلام، وفي ضوء أساليب وطرق التربية التي بينها.(الجلاد، 2011، ص 25).

ويرى الباحث من خلال التعريفات السابقة سواء اللغوية منها أو الاصطلاحية أن التربية الحديثة بشكل عام تشير إلى معنى: تنشئة الإنسان وتنميته في جميع جوانبه الجسمية والعقلية والنفسية والروحية والاجتماعية والأخلاقية وفقا لفلسفة المجتمع الذي يعيش فيه؛ إلا أن الفرق بين التربية الحديثة بشكل عام، والتربية الإسلامية بشكل خاص هو أن التربية الإسلامية تتميز بمرجعيتها إلى مبادئ الإسلام المشتقة من الأصلين الأساسيين وهما: القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة؛ ثم ما ينبثق عنهما من معاني ودلالات يكتشفها العلماء العارفون.

ب. المطلب الثاني: تعريف التصوف والسلوك:

التصوف في اللغة يقال: إنه مشتق من الصوف؛ فتصوف بمعنى لبس الصوف، مثل تقمص بمعنى لبس القميص. (الكلاباذي، 1993، ص 10). وقد كثرت الأقوال في اشتقاق التصوف فقيل: إنه مشتق من الصوفة؛ لأن الصوفي أو المتصوف مع الله كالصوفة المطروحة لا تدبير لها، وقيل: من صوفة القفا؛ للينها؛ فالصوفي هين لين، وقيل: من الصِّفة؛ لأن التصوف هو اتصاف بالمحامد وترك للأوصاف المذمومة، وقيل: من الصفاء؛ لصفاء نفس الصوفيّ، وقيل: إنه مشتق من أهل الصُّفة، وهم

[1] **ملاحظة**: تم التوثيق داخل النص وفي قائمة المراجع وفقا لدليل المواصفات الفنية والشكلية لكتابة الرسائل والأطروحات العلمية في الجامعات الليبية، الذي أصدرته وزارة التعليم العالي والبحث العلمي(2022)؛ حيث أشار الدليل إلى إمكانية التوثيق حسب نظام جمعية علم النفس الأمريكية الإصدار APA 6 ؛ انظر(وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 2022، دليل المواصفات الفنية والشكلة...؛ وهاشم، وفرح، والعنيسي، 2019).

مجموعة من فقراء الصحابة بناحية من مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم. انظر:(زروق، 2007، ص 24).

وفي المعجم الوجيز(مجمع اللغة العربية، 2004، ص 374) تصوف فلان أي صار من الصوفية، والتصوف طريقة سلوكية قوامها التقشف والتحلي بالفضائل لتزكو النفس وتسمو الروح، وعلم التصوف مجموعة المبادئ التي يعتقدها المتصوفة والآداب التي يتأدبون بها في مجتمعاتهم وخلواتهم، والصوفي من يتبع طريقة التصوف، وهو العارف بالتصوف، والصوفية جماعة المتصوفين.

أما في اصطلاح علم التصوف؛ فأغلب الدارسين لم يتوصلوا إلى تعريف موحد، وقد عرف بتعريفات مختلفة؛ لعل من أحسنها والذي يميل الباحث إليه هو تعريف الإمام الجنيد رضي الله عنه؛ حينما سئل عن التصوف؛ فقال: "تصفية القلب عن موافقة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد الصفات البشرية، ومجانبة الدواعي النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بالعلوم الحقيقية، واستعمال ما هو أولى على الأبدية، والنصح لجميع الأمة، والوفاء لله على الحقيقة، واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في الشريعة"(الكلاباذي، 1993، ص ص 19-20).

ولربما من المستحسن أن يشرح الباحث هذا التعريف للقارئ من خلال اطلاعه وقراءاته المتعددة في مجال التصوف؛ فالإمام الجنيد في هذا التعريف يريد أن يبين أن التصوف: هو تصفية القلب عن موافقة أهواء البرية؛ أي إخلاء القلب من موافقة أهواء الخلق وهم البشر خاصة، وجميع الخلق عامة، كما ذكر معنى البرية في بعض المعاجم، ومفارقة الأخلاق الطبيعية؛ أي الابتعاد عن الطبائع والسجايا البشرية ذات المطالب الجسدية والشهوانية، وإخماد الصفات البشرية؛ أي تغليب الصفات النورانية والروحانية والملائكية والربانية، ومجانبة الدواعي النفسانية؛ أي مجانبة أهواء النفس، ومنازلة الصفات الروحانية؛ أي: منافستها في الطهارة والنقاء والتقوى، والتعلق بالعلوم الحقيقية وهي العلوم الربانية التي يفتح الله بها على أوليائه وعباده المتقين، واستعمال ما هو أولى على الأبدية؛ أي العمل بالواجب والأوجب على الدوام حتى الممات ولقاء الرحمن، والنصيحة للأمة المسلمة، والوفاء لله بصدق وإخلاص حقيقي، وأخيرا اتباع سنة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في الشريعة الغراء المشتقة من كتاب الله وسنة رسوله الصحيحة.

وهناك تعريفات للتصوف من قبيل تعريف الصوفي المنتمي للتصوف، منها أن الصوفي هو: من صفا قلبه. ومنها أن الصوفي: من صفت لله معاملته؛ فصفت له من الله عز وجل كرامته. ومنها أن قوما قالوا: إنما سمي الصوفية صوفية لأنهم في الصف الأول بين يدي الله عز وجل بارتفاع هممهم إليه، وإقبالهم عليه، ووقوفهم بسرائرهم بين يديه. ومنه: إنما سمي الصوفية صوفية للبسهم الصوف، ومنهم من نسبهم إلى أهل الصُفَّة، والصفة: مكان مظلل في مسجد المدينة كان يأوي إليه فقراء المهاجرين ويرعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم، وهم أهل الصُفَّة.(مجمع اللغة العربية، 2004، ص 366)؛ ونظرا لأن ظاهر أحوال الطائفة الصوفية مثل أهل الصفة، وهو ترك الدنيا؛ فشبهوا في الاسم بهم، وغير ذلك من التعريفات الكثيرة التي وضعت لعلم التصوف؛ ولعل السبب في ذلك هو ثراء هذا العلم بالمعاني الروحية والإيمانية والوجدانية المفعمة بمحبة الله تعالى، وكل ما له بالله حبل اتصال. انظر:(الكلاباذي، 1993، ص ص 9-11؛ جعفر، 1970، ص ص 4-13).

أما السلوك؛ فمعناه اللغوي من سَلَكَ المكانَ، وبه، وفيه يسلُكُ سلْكا وسلوكا: دخل ونفذ.(مجمع اللغة العربية، 2004، ص 318).

وفي الاصطلاح: يرى الباحث أن السلوك في التصوف يعني: الدخول في طريقة التصوف؛ أو هو طريقة السلوك إلى الله؛ أي السير في صراط الله المستقيم باتباع ما أمر، واجتناب ما نهى عنه، ونظير ذلك في هذا المعنى بعض التسميات لبعض كتب التصوف، ومنه كتاب(رسالة كيفية السلوك إلى رب العالين) للإمام الحكيم الترمذي؛ انظر(الترمذي، 2007، ص 11).

ج. المطلب الثالث: علاقة التربية بعلم التصوف والسلوك:

تتضح العلاقة بين علم التربية والتصوف والسلوك من خلال فهمنا لمضمون المطلبين السابقين؛ فمن خلال الاطلاع على تعريفات التربية عموما والتربية الإسلامية خصوصا؛ نجد أن من معاني التربية العامة الاهتمام بتربية وتنمية كافة جوانب الإنسان الجسمية والعقلية والروحية، ونجد أن تعريف التربية الإسلامية خصوصا يشير إلى: تنشئة الإنسان شيئا فشيئا في جميع جوانبه؛ ابتغاء سعادة الدارين؛ وفق المنهج الإسلامي.

ذاك بعض ما ورد بالمطلب الأول، أما ما ورد بالمطلب الثاني فهو أن معظم معاني التصوف تشير إلى: التركيز على التعبد الروحي الوجداني المعتمد على صفاء القلب من الكدورات المادية، والابتعاد عن الشهوات والأهواء، واستبدالها بالتركيز على محبة الله ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم؛ وذلك بالذكر والتبتل والخلوات، وقراءة القرآن، والتفكر في ملكوت الرحمن، وكل هذه المعاني يغلب عليها الطابع التربوي الروحي؛ فكأن التصوف والسلوك يركز على العناية بالتربية الروحية، وهي أحد الجوانب التي تهتم بها التربية العامة بشكل ما، وتهتم بها التربية الإسلامية بشكل أخص؛ وفقا لمنهج الإسلام الذي مصدره الكتاب والسنة الصحيحة.

وعليه فإن العلاقة بين التربية والتصوف والسلوك علاقة وطيدة في الجانب التربوي الروحي خاصة، وكذلك الأخلاقي، وأيضا ترويض النفس على الطاعات الدينية، ولا نبتعد عن الصواب إذا قلنا إن علم التصوف والسلوك بمبادئه الجميلة يمكنه أن يغطي هذا الجانب التربوي المدرج ضمن التربية العامة، أو المدرج ضمن التربية الإسلامية الخاصة.

ويمكننا القول: بأن التصوف بمعناه الشامل لم يقتصر تركيزه على الجانب الروحي فقط؛ بل تعداه إلى الجوانب التربوية الأخرى للإنسان؛ فنجد علم التصوف يحث على معالجة بعض الجوانب الجسمية كممارسة العبادات والشعائر والصلوات التي تؤدى في ظاهرها بواسطة الجسم، وكتعويد النفس وترويضها على الزهد والتقشف والصيام المستمر في أوقات فاضلة ومندوبة، كما أنه يعالج أيضا بعض النواحي الاجتماعية كالتعامل مع شيخ الطريقة باعتباره معلما ومرشدا، والتعامل مع الإخوة المجتمعين في ذكر الله، وكذلك نشر الود والمحبة مع كافة الناس، بل وحتى مع الحيوانات؛ بل وأكثر من ذلك نجده بين طيات مبادئ علم التصوف الإسلامي ألا وهو الرفق في كل شيء حتى مع الجمادات؛ وهذا لا شك مستقى من أخلاق وتربية رسولهم وحبيبهم محمد صلوات ربي وسلامه عليه.

كما أن التصوف لم يهمل تربية الجوانب العقلية للإنسان؛ فالتفكر في مخلوقات الله الذي دعت إليه آيات قرآنية عديدة، والتأمل والخلوة والاعتكاف ما هي إلا محفزات لتنوير العقل وصقله؛ بل إن الأذكار والتسابيح والصلوات النبوية والوظائف التي تتلى صباحا ومساء في مختلف طرائق التصوف هي أيضا تربويا تعتبر من منشطات الذاكرة والعقل.

وخلاصة الأمر: إن مبادئ علم التصوف العظيمة النابعة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم الصحيحة لا تكاد تترك جانبا تربويا من جوانب تربية الإنسان إلا وتناولته بطريقة وكيفية ما؛ بل ونرى ذلك في الجانب التربوي الخاص بالجهاد والرباط في سبيل الله؛ حتى أصبح من معالم علم التصوف الإسلامي؛ لذلك سمي بعض الأولياء بالمرابطين في مجتمعنا الليبي منذ قديم القرون والأزمان؛ وذلك لرباطهم في ثغور الإسلام ذودا عن بلاد المسلمين من أي عدو يتربص بهم. انظر(القطعاني، 1992، ص ص 41-42؛ خشيم، 1980، ص 67).

إن علم التصوف كعلم تربوي يعتبر علما عظيما لا يقل أهمية عن علم الفقه وغيره من العلوم الإسلامية الأخرى؛ ينبغي على الأمة الاهتمام به كعلم بحد ذاته؛ وكمنهج تربوي ناجح في تربية الإنسان المسلم منذ مولده

وحتى مماته وانتقاله إلى الرفيق الأعلى؛ وبالرغم من ذلك إلا أن التصوف كما أسلفنا يغلب عليه التركيز والاهتمام بتربية الجانب الروحي الذي يعتبر في مبادئ علم التصوف هو الجانب الأعلى الذي يصعد بالإنسان إلى مقام الولاية، وهو العلم الأقرب لكيفية السلوك إلى رضا رب العالمين.

ولقد نال هذا العلم من اهتمام سلف الأمة ما نال من اهتمام كبير، ولا أدل على ذلك الاهتمام الكبير أكبر من كثرة ما ألف فيه من كتب ومراجع مطولة ومختصرة منذ القرون الأولى للأمة الإسلامية وحتى هذه السنوات التي نعاصرها؛ غير أن ظهور بعض الفرق والطوائف المتشددة؛ بل وبعضها يمكن وصفه بالمتطرف البعيد عن روح الإسلام وسماحته؛ بدلا من أن يوجه سهامه السامة إلى فساد الملل الأخرى المعادية للإسلام؛ نجد أنه يوجهها إلى هذا العلم القدسي التربوي الذي بني أول ما بني على محبة الله ورسوله الكريم المشتقة من كتاب الله وسنة رسوله الصحيحة؛ ويحتج أولئك المعارضون لعلم التصوف ببعض المخالفات الشرعية التي قد تصدر من بعض العامة من أتباع بعض الطرق الصوفية؛ والتي عالجها أهل التصوف أنفسهم قبل غيرهم؛ وعلى رأسهم جهود أحد أئمة التصوف الكبار وهو موضوع بحثنا ألا وهو الشيخ الجليل الإمام أحمد زروق قدس الله سره؛ فقد نبه إلى الكثير من مخالفات العامة من الصوفية ومن غيرهم، ولعل القارئ يجد ذلك واضحا في كتابه(عدة المريد الصادق)(زروق، 1996، ص ص 24، 28)، وكذلك كتابه(قواعد التصوف) أنموذج بحثنا الحالي؛ ففيه معالجات تربوية نقدية قيمة؛ تنبه الناس إلى ما قد يقعون فيه من مخالفات شرعية وبدع باسم التصوف، والتصوف الحقيقي الصحيح منه براء.

3. المبحث الثاني: التعريف بالإمام زَرّوق وجهوده في خدمة علم التصوف والسلوك

يتضمن هذا المبحث : التعريف بالإمام زَرّوق وجهوده في خدمة علم التصوف والسلوك، وتحته مطلبان:

- المطلب الأول: نبذة في التعريف بالإمام زروق.
- المطلب الثاني: جهود الإمام زروق في خدمة علم التصوف والسلوك.

أ. المطلب الأول: نبذة في التعريف بالإمام زروق:

اسمه: هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى زّرُّوق البرنسي الفاسي.

مولده: ولد يوم الخميس 22 من شهر محرم سنة 846هـ- 1442م، وعاش الشيخ زروق يتيم الأبوين.

تربيته: تكفلت جدته أم البنين بتربيته، وقد ربته تربية حسنة؛ فقد كانت كما ورد في كناشه: تعلمه التوحيد والتوكل والإيمان والديانة بطريق عجيب؛ فتعلم الصلاة وهو ابن خمس سنين، ودخل الكتاب في هذه السن، وقد حفظ القرآن الكريم في سن العاشرة، وهو الوقت الذي توفيت فيه جدته.

طلبه للعلم: في سن السادسة عشر شرع في طلب العلم بجامعة القرويين بفاس، بلدة الشيخ زروق، وقد تعلم فيها على كبار المشايخ جل العلوم الإسلامية والعربية كالفقه وعلوم الحديث والتوحيد والتصوف والعربية.

رحلاته: توجه الشيخ زروق في عام 875 هـ إلى الحج؛ فمر بمصر، وعند عودته من الحج مكث بها، وتتلمذ على عدد من الشيوخ في مختلف العلوم، وعلى رأسها علم التصوف، وقد جاب في رحلاته بلدانا عديدة شرقا وغربا؛ كالجزائر، وتونس وليبيا ومصر، وبلاد الحرمين؛ وأخيرا طاب له المقام بمدينة مصراتة الليبية.

نزوله بمصراتة: نزل بها عام 886 هـ؛ فلقي من أهلها ترحابا وتقديرا، ثم تزوج بها، ثم اجتمع حوله الناس للاستفادة من دروسه ونصائحه، ثم حج في عام 894 هـ، وفي أثناء رجوعه مر بمصر وألقى دروسا بجامع الأزهر، ثم رجع إلى مصراتة، وقضى بها سنواته الأربع التي بقيت من عمره، وتوفي رحمه الله في 18 صفر عام 899هـ بمدينة مصراتة، ودفن بها بالقرب من زاويته، وضريحه بالمسجد المسمى باسمه بمنطقة الزروق.[1]

ب. المطلب الثاني: جهود الإمام زروق في خدمة علم التصوف والسلوك:

للحديث عن جهود الشيخ زروق في خدمة علم التصوف والسلوك؛ ينبغي التعرض ولو بإيجاز لجهوده في خدمة علوم الشريعة عموما، ثم جهوده في خدمة علوم التصوف والسلوك خاصة.

أولا: جهوده في خدمة علوم الشريعة عموما: لقد بذل الشيخ زروق جهودا مضنية في سبيل تحصيله العلمي أولا؛ حيث رحل إلى أقاصي البلدان لطلب العلم؛ فكانت رحلات الشيخ زروق تمثل ألوانا عديدة من الجهاد العلمي الذي يستهدف نشر الحق في بلاد الإسلام؛ وقد تمثل جهاده أولا في النضال من أجل تحصيل العلم، ثم نشر هذا العلم قياما بواجب التبليغ.

ونظرا لظهور بعض البدع في عصر شيخ زروق على أيدي من ينتسبون إلى العلم، أو إلى الطرق الصوفية؛ فكان جهد الشيخ زروق جليا في مقاومة ما ظهر من بدع في المجتمع الإسلامي؛ وذلك بدروسه المتنوعة في المساجد والزوايا. (زروق، 2004، ص 8).

ولقد ترك شيخ زروق تراثا ومؤلفات امتازت بكثرتها وتنوعها، وجودة تحريرها، وسهولة تعبيرها، مع الوضوح والفصاحة، وتدقيق المعاني ورفض التقليد الأعمى، وتميز تأليفه بالدقة والتنظيم، وحسن التقسيم، والتركيز مع الإيجاز والشمول، وإقامة الدليل من الكتاب والسنة، مع التزام الأدب الرفيع مع المخالفين، والتماس الأعذار لهم.

وقد بلغت مؤلفات شيخ زروق في الحديث ستة منها: شرح الأربعين حديثا، والرحلات اثنان منها: الرحلة، والسيمياء واحد وهو الكشف، والطب اثنان منها: تلخيص الدرة المنتخبة، والقرآن وتفسيره اثنان: تفسير القرآن، وشرح الفاتحة، والفقه عشرة منها: شرح رسالة القيرواني، والنحو ثلاثة، وعلم الكلام اثنان منها: شرح عقيدة الغزالي، والسيرة الذاتية واحد(الكناش)، والتراجم واحد وهو: مناقب الحضرمي، وكتب مجموعة من الرسائل منها: رسائل للسالكين. أما مؤلفاته في التصوف فقد وصلت تسعة وثلاثين مؤلفا، وكتب الذكر عشرة. (زروق، 2004، ص 9؛ خشيم، 2002، ص ص 93- 98).

ثانيا: جهوده في خدمة علم التصوف خاصة: لقد كان للشيخ زروق في خدمة علم التصوف والسلوك باع طويل؛ وشأن عظيم؛ حتى إن بعض الباحثين وصف نفسه بالقصور في الحديث عن هذه الجهود، وترك الحديث عنها لمن عرف زروق عن كثب ممن عاصره من رفاقه أو تلاميذه، أو ممن له باع طويل في دراسة تصوف الشيخ زروق؛ حتى إن الشيخ مصطفى أبوعجيلة مدير مكتبة الشيخ أحمد زروق -رحمه الله- في كتابه (الشيخ أحمد زروق) قال: "أما مكانته ورتبته العلمية، والمقام الصوفي فليس ذلك من شأني؛ ولذلك فكما أحجمت عن تقديمه -علميا- فأوكلت ذلك إلى العلماء وبعض الكتاب الفضلاء؛ فكذلك أكل تقديمه صوفيا- وللسبب ذاته- إلى بعض كبار المتصوفة.".(أبوعجيلة، 2014، ص 69).

ويذكر أبوعجيلة(2014) بخصوص علو شأن زروق في علم التصوف ما ملخصه: أن عظمة المنعوت تقتضي تعدد النعوت؛ ولذا فقد

[1] - **ملاحظة** من الباحث: بخصوص ضريح الشيخ زروق رحمه الله: لقد كان الباحث شاهد عصر على حادثة نبش ضريح الشيخ زروق؛ فللأسف تم نبش ضريحه بعد ثورة فبراير عام 2012م من قبل مجموعات متطرفة مستغلين الفوضى عقب الثورة، وغياب الجهات الأمنية بالدولة، ومستغلين سواد ظلام الليل ستارا لجريمتهم النكراء-أسأل الله أن ينتقم من كل فرد كان وراء جريمة نبش ضريح عالمنا الجليل.

وصف شيخ زروق من قبل كبار العلماء والباحثين الذين تبحروا في دراسة حياته وتراثه بأوصاف صوفية عديدة تدل على علو قدره، وعظمة فضله في خدمة هذا العلم، سواء من حيث هو عالم به، أو سالك فيه طريق الوصول إلى رضا الرحمن ومن تلك الأوصاف: أنه الحي في قبره؛ لأن الأثر الباقي كأنه يجعل الميت كالحي، وقطب المغرب؛ لأن علومه انتشرت بالمغارب والمشارق ولاقت القبول والرضا، وهو حصن الضعفاء والمساكين؛ لأنه يأخذ بأيديهم ويرفق بهم، وطبيب نبوي؛ لأنه يعالج الأنفس بروح النبوة المحمدية، وهو المحمدي سرا وسريرة؛ لأنه المتبع لسنة محمد صلى الله عليه وسلم، وهو الفقيه المحدث؛ لعلمه الغزير بالفقه والحديث، وهو الذي لم يغلب فقهه تصوفه، ولم يطغ تصوفه على فقهه، وهو أيضا محتسب العلماء والأولياء، وكلمة محتسب هي رتبة فضل وعلم يعطيها العلماء لمن صار له باع طويل في العلوم والصلاح.(ص ص 70-76).

هذه بعض الأوصاف التي أغدقها العلماء والشيوخ الكبار على شيخ زروق، وهو لا ريب أهل لها وحقيق بها؛ فلولا جهوده في علم التصوف والسلوك، ورسم معالمه القرآنية والسنية؛ لما وصف بغزارة بكل هذه الأوصاف الجليلة الدالة على فضل موصوفها، وبعد هذه الأوصاف الندية؛ لم يتبق لنا في هذا المطلب المختصر إلا أن نذكر مؤلفاته في التصوف والسلوك، والتي تعتبر من جهوده العظيمة في خدمة هذا العلم؛ والباحث هنا بما لديه من خلفية تخصصية في علوم التربية يعتبر علم التصوف علما تربويا صريحا لا غموض فيه، ومؤلفاته في التصوف-ولا مناص من ذكرها هنا جميعا؛ فنحن في معرض الحديث عن جهود الشيخ زروق في خدمة علم التصوف والسلوك- مؤلفاته في التصوف فقط كما حصرها الباحثون تتمثل في المؤلفات التالية مرتبة ترتيبا هجائيا:

1- أرجوزة في عيوب النفس.

2- الأصول البديعة والجوامع الرفيعة.

3- أصول الطريق.

4- أصول الطريقة وأسس الحقيقة.

5- الأنس.

6- إعانة المتوجه المسكين إلى طريق الفتح والتمكين.

7- إعراب "إن لم أجد إلهي".

8- تأسيس القواعد والأصول.

9- تحفة المريد.

10- الجامع لجمل من الفوائد والمنافع.

11- الهمع في شرح أبيات الجمع.

12- وصية من.

13- رسالة.

14-رسالة في الرد على أهل البدع.

15- روضة الأزهار.

16- سلوك الطريق إذا فقد الصديق.

17- شرح أبيات "تطهر بماء الغيب".

18- شرح الآجرومية.

19- شرح الحقائق والدقائق.

20- شرح الشريشية.

21- شرح صدور المراتب.

22- شرح المباحث الأصلية.

23- شرح المراصد.

24- شرح مقطعات الششتري.

25- شرح النصيحة الكافية.

26- شرح نونية الششتري.

27- شرح الوغليسية.

28- شروح الحكم.

29- كتاب السماع.

30- كتاب المحبة.

31- الكلام على أنواع أهل الخصوصية.

32- مزيل اللبس.

33- النصح الأنفع والجنة.

34- النصيحة.

35- النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية.

36- النصيحة وحث القريحة.

37- قواعد التصوف. (وهو الأنموذج التربوي للبحث الحالي).

38- عدة المريد الصادق.

39- علاج أدواء القلب. (خشيم، 2002، ص ص 93-95).

هذه هي الكتب التي اعتبرها الباحثون من كتب التصوف التي ألفها شيخ زروق؛ باستثناء الكتب التي ألفت في الذكر؛ وهو الجانب الأقرب لعلم التصوف؛ إذ إن الذكر هو أول طابع عملي للتصوف العملي؛ فلا يوجد تصوف خال من الذكر؛ والذكر كما هو معروف يقصد به ذكر الله تعالى باللسان والقلب؛ ومنه قراءة القرآن الكريم، وكافة الأدعية القرآنية والمأثورة، والصلاة على الرسول الكريم صلوات ربي وسلامه عليه.

ولعل الباحث في هذا المطلب قد أوضح بعض جهود الإمام زروق في خدمة علم التصوف والسلوك بما هو متناسب مع بحوث هذا المؤتمر القيم الذي هدف إلى التعريف بعلماء ليبيا وإظهار جهودهم ودورهم في خدمة العلوم الشرعية ومن بينها علم التصوف والسلوك، كما هدف إلى إثراء المكتبة الإسلامية بالأبحاث العلمية المختلفة، وهدف أيضا إلى الكشف عن جهود العلماء والتعريف بهم وبجهودهم؛ فهو واجب الوقت؛ أداء لحق الأمانة، وحفظا لمقامات السادة، وإحياء لمسالك القادة.

4. المبحث الثالث: بعض نماذج الجهود التربوية للإمام زروق في كتابه قواعد التصوف

يتضمن هذا المبحث بعضا من نماذج الجهود التربوية للإمام زروق في كتابه قواعد التصوف، وتحته خمسة مطالب، خصص **الأول** منها للتعريف بكتاب قواعد التصوف، **والأربعة** الأخرى لذكر بعض النماذج التربوية المضمنة في كتابه "قواعد التصوف"، وقد ميزت المطالب الأربعة بالحروف الأبجدية، والمطالب الخمسة للمبحث الثالث أتت مرتبة كالآتي:

أ. المطلب الأول: التعريف بكتاب قواعد التصوف:

كتاب ***قواعد التصوف*** يعتبر من كتب التصوف المهمة التي ألفها شيخ زروق؛ فهو كتاب يتضمن نصائح مهمة؛ يشير بعض الباحثين إلى أنه جردها من كتابه (عدة المريد الصادق)، ثم أودعها في كتاب جديد سماه (قواعد التصوف)، وفيه كتب كلاما متسلسلا يفسر بعضه بعضا، وتكلم فيه عن ماهية التصوف، واشتقاق كلمته، ثم علاقة التصوف بالفنون الأخرى كالفقه وعلم الأصول وعلم الكلام. (زروق، 2007، ص 14).

وقد بين الغرض منه في مقدمته بقوله: "وبعد؛ فالقصد بهذا المختصر وفصوله، تمهيد قواعد التصوف وأصوله، على وجه يجمع بين الشريعة والحقيقة، ويصل الأصول والفقه بالطريقة". (زروق، د.ت، ص 19-20؛ زروق، 2004، ص 9).

ويصف محقق الكتاب نزار حمادي (زروق، د.ت) أن كتاب قواعد التصوف وحيد في أسلوبه، فريد في بابه وبالرغم من أنه لم يسبق بغيره إلا أنه لم يلحق به غيره؛ فقد وضع قواعد يحتاجها كل متخصص في علوم الشريعة؛ حتى يتسنى لكل عالم أن يجمع بين أركان الدين الثلاثة ألا وهي: الإيمان والإسلام والإحسان على أكمل الوجوه وأحسنها. (ص 6).

وهذا الكتاب قد ربط بين الحقيقة والشريعة؛ فالشريعة ممثلة في مقام الإسلام، والحقيقة ممثلة في مقام الإحسان الذي يتكفل بشرحه علم التصوف، وهذا الكتاب أيضا بالرغم من أنه كتاب علم في التصوف؛ فهو كتاب نقد وتصحيح لما ألصق بالتصوف من تشويه ومخالفات شرعية تخالف الكتاب والسنة. (زروق، 2004، ص 10؛ زروق، 2007، ص 14).

وقد قام بتحقيق هذا الكتاب بحاث عدة تمكن الباحث من الحصول على ثلاثة نسخ محققة ومطبوعة ومنشورة من كتاب قواعد التصوف من ثلاثة باحثين هم:

1- نزار حمادي، ونشر الكتاب اختصارا باسم (قواعد التصوف وشواهد التعرف)، والطبعة من منشورات المركز العربي للكتاب: الإمارات، الشارقة دون تاريخ. وقد تميزت هذه الطبعة من وجهة نظر الباحث بجودة الطباعة، والتشكيل الكامل لنص كتاب قواعد التصوف، والشروحات والتعليقات في الحاشية، وكذلك بحجم الخط المناسب، والضبط المنسق والجميل للفقرات، وحسن استخدام علامات الترقيم؛ مما جعل الكتاب مريحا للقارئ، وهذا التحقيق هو الذي اعتمد عليه الباحث في الاستشهاد بنصوص القواعد.

2- عثمان الحويمدي، ونشر الكتاب اختصارا باسم (قواعد التصوف)، والطبعة من منشورات دار وحي القلم: لبنان، بيروت وهي ط: الأولى بتاريخ: 2004. وقد تميزت هذه الطبعة من وجهة نظر الباحث أيضا بجودة الطباعة، وكذلك بحجم الخط المناسب، والضبط المنسق والجميل للفقرات، وحسن استخدام علامات الترقيم؛ مما جعل الكتاب مريحا للقارئ أيضا.

3- عبد المجيد خيالي، ونشر الكتاب اختصارا أيضا تحت اسم (قواعد التصوف)، والطبعة من منشورات دار الكتب العلمية: لبنان، بيروت وهي ط: 3 بتاريخ: 2007. وقد تميزت هذه الطبعة من وجهة نظر الباحث بدقة التحقيق، وكذلك بعض التعليقات والترجمة للشخصيات وتخريج الأحاديث؛ إلا أن الباحث تمنى في هذه الطبعة زيادة حجم الخط، وضبط النص كاملا بدقة مع وضع شروحات لما غمض في تعليقات مختصرة؛ وبذلك سيكون هذا التحقيق من وجهة نظر الباحث في درجة ممتازة.

وهناك تحقيقات أخرى لم يتمكن الباحث من الحصول عليها، منها: تحقيق: أحمد السايح وتوفيق وهبة، وتحقيق: محمود بيروني، ومحمد النجار وعلي فرغلي. كما أن هناك شروحات عليه منها: المرشد المعرّف بمعاني وأسرار قواعد التصوف، للدكتور طه حبيشي في خمسة مجلدات من منشورات مكتبة الإيمان ط: 1 سنة 2015، وقبله شرح العلامة ابن زكري الفاسي بتحقيق: أبي يحيى الحداد الجزائري، ومن منشورات المكتبة التوفيقية.

ويتكون كتاب قواعد التصوف من 224 قاعدة عند المحقق: نزار حمادي، و225 عند المحقق: عبد المجيد خيالي؛ ولعل السبب في اختلاف العدد هو النقص في بعض المخطوطات والزيادة في بعضها من المؤلف نفسه كما ذكر المحقق: نزار حمادي(زروق، د.ت، ص 11)، والقاعدة الأولى بعد المقدمة الموجزة تبدأ بقوله:" الكلام في الشيء فرع تصور ماهيته وفائدته ومادته، بشعور ذهني مكتسب أو بديهي؛ ليرجع إليه في أفراد ما وقع عليه ردا وقبولا، وتأصيلا وتفصيلا، فلزم تقديم ذلك على الخوض فيه إعلاما به، وتحضيضا عليه، وإيماء لمعادنه، فافهم"(زروق، د.ت، ص 20؛ زروق، 2007، ص 21).

والقاعدة الأخيرة في التحقيقين تبدأ بقوله: "تعظيم ما عظم الله متعين، واحتقار ذلك ربما كان كفرا..."الخ القاعدة، وتليها خاتمة. (زروق، د.ت، ص ص 333-339؛ زروق، 2007، ص ص 135-138).

وبعد الانتهاء من مطلب التعريف بالكتاب نقدم أربعة مطالب نستعرض فيها بعض النماذج التربوية المضمنة في كتابه "قواعد التصوف"، وهي ليست للحصر بل للتدليل بها على جهود شيخ زروق في المجال التربوي موضوع بحثنا هذا؛ وإن كان الباحث يرى أن جل ما ألف زروق يتميز بالطابع التربوي القديم والحديث على حد سواء، والباحث عند الاستشهاد ببعض القواعد لن يقوم بشرحها إلا ما لزم لشرح الشاهد التربوي؛ ومن يريد الشروحات؛ فهناك شروحات لها أفضلها مما اطلع الباحث عليه هو: شرح للدكتور طه حبيشي المسمى (المرشد المعرّف بمعاني وأسرار قواعد التصوف)، وهو في خمسة مجلدات، والباحث من أجل الاستشهاد بالقواعد حاول انتقاء بعض القواعد من أول الكتاب، ومن وسطه ومن نهايته؛ حتى يكون الاستشهاد دالا على أن القواعد التربوية مضمنة في معظم الكتاب؛ فإلى تلك المطالب على بركة الله.

ب. المطلب الثاني: بعض النماذج التربوية المضمنة في كتابه "قواعد التصوف" (أ):

في هذا المطلب نستعرض بعض النماذج المضمنة في كتابه قواعد التصوف، وقد أعطيت هذه النماذج في هذا المطلب حرف (أ)، ومن هذه النماذج التربوية ما احتوته مقدمة الكتاب؛ والتي نصت على:

" الحَمْدُ لِلَّهِ كَمَا يَجِبُ لِعَظِيمِ مَجْدِهِ وَجَلَالِهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وآله. وَبَعْدُ، فَالقَصْدُ بِهَذَا الْمُخْتَصَرِ وَفُصُولِهِ، تَمْهِيدُ قَوَاعِدِ التَّصَوُّفِ وَأُصُولِهِ، عَلَى وَجْهٍ يَجْمَعُ بَيْنَ الشَّرِيعَةِ وَالحَقِيقَةِ، وَيَصِلُ الأُصُولَ وَالفِقْهَ بِالطَّرِيقَةِ.

وَعَلَى اللهِ اعْتَمَدْتُ فِي تَيْسِيرِ مَا أَرَدْتُ، وَإِلَيْهِ اسْتَنَدْتُ فِي تَحْقِيقِ مَا قَصَدْتُ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الوَكِيلُ، ثُم أقول:".(زروق، د.ت، ص ص 19-20).

لقد نهج الشيخ زروق في مقدمته نهجا تربويا صريحا يتناسب مع التربية العامة، ويتوافق مع التربية الإسلامية خاصة؛ فقد بدأ مقدمته بحمد الله، وبالصلاة والسلام على رسوله؛ وهو ما يتوافق مع متطلبات التربية

الإسلامية خاصة، ولا يتناقض مع مبادئ التربية العامة، ولا خلاف بين التربويين في ضرورة أن يكون لكل كتاب أو بحث مقدمة يوضح فيها النهج والأهداف التي ألف من أجلها؛ وقد ذكر ذلك شيخ زروق مبينا هدف الكتاب بقوله: والقصد بِهَذَا الْمُخْتَصَر وَفُصُولِهِ، تَمْهِيدُ قَوَاعِدِ التَّصَوُّفِ وَأُصُولِهِ، عَلَى وَجْهٍ يَجْمَعُ بَيْنَ الشَّرِيعَةِ وَالحَقِيقَةِ، وَيَصِلُ الأُصُولَ وَالفِقْهَ بِالطَّرِيقَةِ.

ويعني بذلك وضع قواعد للتصوف الصحيح الموافق للكتاب والسنة والذي هو مقام (الإحسان)، وهو كما بالحديث الشريف كما ورد في صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب: في الحديث الطويل لجبريل (ع س)؛ حيث قال: فأخبرْني عن الإحسان؟ قال: "الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"، وهذه القواعد تجمع بين الشريعة التي يتكفل بها علم الفقه، والحقيقة التي يتكفل بها علم الإحسان(التصوف)؛وبذلك تتناغم العلوم الإسلامية مع بعضها دون محاولة من أي متفلسف لإيجاد أي تناقض أو اختلاف في منهج الإسلام النابع من الكتاب والسنة، وقاعدة جمع العلوم مع بعضها، وجعلها تترابط فيما بينها قاعدة تربوية تسمى في علم المناهج بالمناهج المترابطة. انظر: (اللقاني، 2013، ص 190).

كما أنه بقوله:" وَعَلَى اللهِ اعْتَمَدْتُ فِي تَيْسِيرِ مَا أَرَدْتُ، وَإِلَيْهِ اسْتَنَدْتُ فِي تَحْقِيقِ مَا قَصَدْتُ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الوَكِيلُ". يقرر مبدأ تربويا إسلاميا حميدا، ألا وهو التواضع والانكسار والخضوع لله وحده؛ فلا يجب أن يغتر الإنسان بأي عمل عظيم يقوم به؛ ولو كان خيرا؛ ومن التربية الإسلامية أن يسند الفضل إلى الله في ذلك.

ومن هذه النماذج التربوية أيضا ما تضمنته القاعدة رقم 1؛ والتي نصت على:" الكَلَامُ فِي الشَّيْءِ فَرْعُ تَصَوُّرِ مَاهِيَّتِهِ وَفَائِدَتِهِ وَمَادَّتِهِ، بِشُعُورٍ ذِهْنِي مُكْتَسَبٍ أَوْ بَدِيهِيٍّ؛ لِيَرْجِعَ إِلَيْهِ فِي أَفْرَادِ مَا وَقَعَ عَلَيْهِ رَدًّا وَقَبُولًا، وَتَأْصِيلًا وَتَفْصِيلًا، فَلَزِمَ تَقْدِيمُ ذَلِكَ عَلَى الخَوْضِ فِيهِ إِعْلَامًا بِهِ، وَتَحْضِيصًا عَلَيْهِ، وَإِيمَاء لِمَعَادِنِهِ ، فَافْهَمْ".(زروق، د.ت، ص 20).

وفي هذه القاعدة يقرر لنا الشيخ زروق مبدأ تربويا قيما للتعامل مع المتعلمين؛ حيث لابد قبل الكلام عن أمر ما، أو موضوع ما، أن توضح حقيقة هذا الشيء، أو هذا الموضوع بحيث يصبح متصورا لدى المتعلمين قبل الحديث عنه؛ ومن ذلك التماس توضيحه بشتى الطرق والوسائل الكلامية، والوسائل التوضيحية؛ وهنا نلمح إشارة إلى المبدأ التربوي الذي تؤكد عليه جميع المراجع والنظريات التربوية وهو استخدام الوسائل التعليمية والتقنيات التربوية المناسبة التي تسهم في تعليم الطلبة والتلاميذ كما تؤكد ذلك مراجع التقنيات التربوية والتعليمية، والوسائل التعليمية وظيفتها مساعدة المتعلم على تصور الأشياء تصورا حقيقيا أو قريبا من الحقيقة.(الفريجات، 2014، ص 17).

وفي هذه القاعدة أيضا يؤكد الشيخ زروق على أن ماهية الشيء المراد تعلمه وهو حقيقته يجب أن تكون واضحة وضوحا كاملا إما بشعور ذهني مكتسب، أو بديهي يفهم دون الاحتياج إلى كثير من الشروحات، وقد تتضح الماهية بذكر فائدة الشيء، وذكر مادته التي تكون منها إن كان الشيء محسوسا.

وقد يعني ما أشارت إليه هذه القاعدة عند شيخ زروق ما نسميه اليوم تربويا(وضوح المفهوم أو المفاهيم)؛ فالمفهوم (Concept) يعرف تربويا بأنه: " مجموعة من الأشياء أو الرموز أو الحوادث الخاصة التي تم تجميعها معا على أساس من الخصائص أو الصفات المشتركة، والتي يمكن الإشارة إليها برمز أو اسم معين، وبعبارة أخرى، فإن المفهوم يمثل كلمة أو تعبيراً تجريدياً موجزاً يشير إلى مجموعة من الحقائق أو الأفكار المتقاربة. إنه صورة ذهنية، يستطيع الفرد أن يتصورها عن موضوع ما، حتى لو لم يكن لديه اتصال مباشر مع الموضوع أو القضية ذات العلاقة."(سعادة، وإبراهيم، 2011، ص ص 266-267).

وكما هو معلوم تربويا أن لتعلم المفاهيم أهمية كبرى؛ حيث تساعد على التقليل من إعادة التعلم والشرح؛ فعندما نتعلم مثلا مفهوم التصوف، أو مفهوم الإحسان؛ فإنه يرسخ في الذهن واضحا جليا؛ فلا نحتاج إلى شرح معناه كل مرة أردنا التكلم عنه.

وتعد المفاهيم البنى الأساسية في التفكير العلمي والتفكير المجرد، وتعطى المفاهيم أهمية زائدة في هذا العصر نظرا لتدفق المعلومات بكميات هائلة؛ فلابد إذن من الاهتمام بها وبوضوحها، ولا بد من تصنيفها حسب صفاتها؛ ليسهل حفظها واستيعابها ونقلها إلى الآخرين، وتسهم المفاهيم أيضا في بناء المنهج المدرسي بشكل مستمر ومتتابع ومتكامل في المراحل المدرسية المختلفة.(القلا وآخرون، 2006، ص ص 133-134)؛ ويبدو لنا من هذه القاعدة إذن أن ما يريده شيخ زروق هو توضيح ماهية الشيء وضوحا تاما، وهو ما يسمى وضوح المفهوم أو المصطلح.

ومن النماذج التربوية أيضا ما تضمنته القاعدة رقم 2 والتي نصت على:" مَاهِيَّةُ الشَّيْءِ: حَقِيقَتُهُ، وَحَقِيقَتُهُ : مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ جُمْلَتُهُ.

وَتَعْرِيفُ ذَلِكَ بِحَدٍّ وَهُوَ أَجْمَعُ، أَوْ رَسْمٍ وَهُوَ أَوْضَحُ، أَوْ تَفْسِيرٍ وَهُوَ أَتَمُّ لِبَيَانِهِ وَسُرْعَةِ فَهْمِهِ. وَقَدْ حُدَّ التَّصَوُّفُ، وَرُسِمَ، وَفُسِّرَ، بِوُجُوهٍ تَبْلُغُ نَحْوَ الْأَلْفَيْنِ، تَرْجِعُ كُلُّهَا لِصِدْقِ التَّوَجُّهِ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَإِنَّمَا هِيَ وُجُوهٌ فِيهِ، وَاللهُ أَعْلَمُ".(زروق، د.ت، ص ص 23-24).

وفي قول الشيخ زروق في هذه القاعدة "ما دلت عليه جملته" مبدأ تربوي يؤكد على أهمية المعرفة الشاملة والمحيطة، ومبدأ ضرورة وجود أهداف عامة، ومبدأ الشمول، وهو مبدأ تربوي يختص غالبا بمحتوى المناهج الذي يشترط في معاييره أن يتميز بالشمول، وهو أن يغطي المحتوى مجالات واسعة تكفي لإعطاء فكرة عامة وشاملة وواضحة عن المحتوى التعليمي. (اللقاني، 2013، ص ص 90، 104).

وتبعا لمبدأ التعلم الشامل أو مبدأ الشمول نجد أن من خصائص التربية الإسلامية الشمول؛ فالتربية الإسلامية تربية شاملة، شاملة في نظرتها لطبيعة التربية وفلسفتها، وللإنسان بمكوناته الجسدية والعقلية والروحية، وشاملة لنواحي الحياة الفردية والاجتماعية، وللزمان بماضيه وحاضره ومستقبله؛ فهي تربية شاملة بكل ما تتضمن هذه الكلمة من معان وأبعاد، وشمولها متفق مع مرجعيتها الشرعية المتمثلة في الإسلام الدين الشامل للزمان والمكان والحياة والإنسان.(الجلاد، 2011، ص 81؛ الزنتاني، 1993، ص 443).

ج. المطلب الثالث: بعض النماذج التربوية المضمنة في كتابه "قواعد التصوف" (ب):

في هذا المطلب نستعرض بعض النماذج المضمنة في كتابه قواعد التصوف، وقد أعطيت هذه النماذج في هذا المطلب حرف (ب)، ومن هذه النماذج التربوية ما تضمنته القاعدة رقم 5 ؛ والتي نصت على:

"إِسْنَادُ الشَّيْءِ لِأَصْلِهِ وَالقِيَامُ فِيهِ بِدَلِيلِهِ الخَاصِّ بِهِ يَدْفَعُ قَوْلَ المُنْكِرِ بِحَقِيقَتِهِ؛ لِأَنَّ ظُهُورَ الحَقِّ فِي الحَقِيقَةِ يَمْنَعُ مِنْ ثُبُوتِ مُعَارَضَتِهَا، وَأَصْلُ التَّصَوُّفِ مَقَامُ الإِحْسَانِ الَّذِي فَسَّرَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِـ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ؛ لِأَنَّ مَعَانِي صِدْقِ التَّوَجُّهِ لِهَذَا الأَصْلِ رَاجِعَةٌ، وَعَلَيْهِ دَائِرَةٌ، إِذْ لَفْظُهُ دَالٌّ عَلَى طَلَبِ المُرَاقَبَةِ المَلْزُومَةِ لَهُ ، فَكَانَ الحَضْ عَلَيْهَا حضا عَلَى عَيْنِهِ، كَمَا دَارَ الْفِقْهُ عَلَى مَقَامِ الإِسْلَامِ، وَالْأُصُولُ عَلَى مَقَامِ الإِيمَانِ؛ فَالتَّصَوُّفُ أَحَدُ أَجْزَاءِ الدِّينِ الَّذِي عَلَّمَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جِبْرِيلَ لِيَتَعَلَّمَهُ الصحابة رضي الله عنهم فافهمْ".(زروق، د.ت، ص ص 26-27).

في هذه القاعدة يرى الباحث حقيقة أنها لب التربية الإسلامية الروحية، أو خلاصتها، وهذه القاعدة تشير إلى معنى التصوف الذي يرجع إلى منبعه الأصيل وهو مقام الإحسان الذي فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم ب" أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ..." الحديث.

هذا المقام العظيم وهو مقام الإحسان الذي يحاول علم التصوف تفسيره، هو أعلى المقامات؛ فصِدْقِ التَّوَجُهِ إلى الله راجعة لِهَذَا الأَصْلِ العظيم؛ وهل هناك تربية أفضل من هذه التربية الروحية التي تجعل الإنسان خيرا في كل لحظاته وسكناته؛ بفضل مراقبته لله؛ فهو يعبده في كل لحظات حياته وكأنه يراه؛ وإذا لم يكن يراه؛ فهو يدرك أن الله يراه.

إن هذا النوع من التربية الإسلامية العظيمة والذي يتمحور في هذا المقام العالي كفيل بأن يربي أفراد المجتمع، وإذا ما تمت تربية الأفراد فردا فردا؛ فإن الأمة المسلمة تصبح في إطارها العام متمتعة بتربية حصينة قوية راسخة الجذور؛ لا تزعزعها رياح التغيير والاغتراب والتأثير الخارجي؛ وبذلك ستعود الأمة المسلمة إلى مجدها المحمدي الذي قامت وتأسست عليه، واستمرت فيه لعقود مديدة كانت فيه أمتنا الإسلامية سيدة العالم.

لقد ربى محمد صلى الله عليه وسلم أصحابه بهذا المقام مقام الإحسان؛ فتغير مجرى التاريخ، وتغيرت حياة البشرية في بضعة عقود، وأنقذ الله عليه أمما ومجتمعات أنهكتها الحروب، ودمرتها الرذائل، وبددتها الشحناء والبغضاء، وانحدر تفكيرهم إلى أن عبدوا ما لا يسمع ولا يعقل.(الحازمي، 2000، ص ص 5-6).

ومن النماذج التربوية أيضا ما تضمنته القاعدة رقم 13 والتي نصت على:" شَرَفُ الشَّيْءِ إِمَّا أَنْ يَكُونَ لِذَاتِهِ فَيَتَجَرَّدُ طَلَبُهُ لِذَاتِهِ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ لِمَنْفَعَتِهِ؛ فَيُطْلَبُ مِنْ حَيْثُ مَا يُتَوَصَّلُ مِنْهُ إِلَيْهَا بِهِ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ لِمُتَعَلِّقِهِ فَتَكُونُ الْفَائِدَةُ فِي الْوُصْلَةِ بِمُتَعَلَّقِهِ، فَمِنْ ثَمَّ قِيلَ: عِلْمٌ بِلَا عَمَلٍ وَسِيلَةٌ بِلَا غَايَةٍ، وَعَمَلٌ بِلَا عِلْمٍ جِنَايَةٌ، وَالعَمَلُ أَفْضَلُ مِنْ عِلْمٍ بِهِ، وَالعِلْمُ بِهِ تَعَالَى أَفْضَلُ العُلُومِ؛ لِأَنَّهُ أَجَلُّ مَعْلُومٍ، وَعِلْمٌ يُرَادُ لِذَاتِهِ أَفْضَلُ لِكَوْنِ خَاصِّيَّتِهِ فِي ذَاتِهِ، كَعِلْمِ الْهَيْئَةِ وَالْأُنْسِ وَنَحْوِ ذَلِكَ.

فَمَنْ لَمْ تَظْهَرْ نَتِيجَةُ عِلْمِهِ فِي عَمَلِهِ فَعِلْمُهُ عَلَيْهِ لَا لَهُ، وَرُبَّمَا شَهِدَ بِخُرُوجِهِ مِنْهُ إِنْ كَانَ عِلْمُهُ مَشْرُوطًا بِعَمَلِهِ، وَلَوْ فِي بَابِ كَمَالِهِ، فَاهْمَ، وَتَأَمَّلْ ذَلِكَ".(زروق، د.ت، ص ص 37-38).

في هذه القاعدة نجد مبدأ تربويا مهما وهو ربط العلم بالعمل؛ فعِلْمٌ بِلَا عَمَلٍ وَسِيلَةٌ بِلَا غَايَةٍ، وَعَمَلٌ بِلَا عِلْمٍ جِنَايَةٌ؛ ولهذا نجد أن الأصول التربوية العامة منها والإسلامية قد جعلت من أهدافها الأساسية التطبيق العملي للمعلومات النظرية، وتوظيفها في الحياة؛ ولهذا اهتمت وتمحورت حول المتعلم واحتياجاته؛ فركزت على توظيف ما يتعلمه في حياته؛ حتى يكون للتعليم قيمة واقعية، وليس مجرد ناقل ومسجل للمعلومات النظرية البعيدة عن واقعه؛ فالمتعلم في التربية الحديثة يمارس التربية ليس كعملية ضيقة تُعنى بالحفظ والاستظهار والتحصيل فقط؛ بل من أجلها كعملية ثقافية دينامية تتسامى بعقل الإنسان وفكره وضميره وخلقه، وتتكامل مع أبعاده الجسمية والنفسية والاجتماعية وغيرها.(مرسي، 2009، ص 18).

كما أن الإسلام اهتم بجانب العمل اهتماما كبيرا في جوانبه المتعددة؛ فإنه يقع على كاهل التربية والمؤسسات التربوية أن تبرز ذلك، وتبينه وتؤكده؛ لنقل ذلك من الجانب النظري إلى الجانب التطبيقي. .(الحازمي، 2000، ص 171). ونجد الاهتمام بالعمل صريحا في قوله تعالى: (وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ). التوبة. (106).

ومن النماذج التربوية أيضا ما تضمنته القاعدة رقم 19 والتي نصت على:" فِي كُلِّ عِلْمٍ مَا يُخْصُّ وَيَعُمُّ؛ فَلَيْسَ غَيْرُ التَّصَوُّفِ بِأَوْلَى مِنْهُ فِي عُمُومِهِ وَخُصُوصِهِ، بَلْ يَلْزَمُ بَذْلُ أَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْمُعَامَلَاتِ مِنْ كُلِّ عُمُومًا، وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ عَلَى حَسَبِ قَابِلِهِ، لَا عَلَى قَدْرِ قَائِلِهِ؛ لِحَدِيثِ: «حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ ؟!

وَقِيلَ لِلْجُنَيْدِ : يَسْأَلُكَ الرَّجُلَانِ عَنِ الْمَسْأَلَةِ الوَاحِدَةِ فَتُجِيبُ هَذَا بِخِلَافِ مَا تُجِيبُ هَذَا. فَقَالَ: «الجَوَابُ عَلَى قَدْرِ السَّائِلِ، قَالَ عليه الصلاة والسلام:(أُمِرْنَا أَنْ نُخَاطِبَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ) الحديث".(زروق، د.ت، ص ص 43-44).

في هذه القاعدة نلاحظ بوضوح المبدأ التربوي الشهير الذي نادى به جل التربويين قديما وحديثا ألا وهو مبدأ (مراعاة الفروق الفردية)، ويتضح هذا في الحديث الذي أورده المؤلف في هذه القاعدة وهو حديث (أُمِرْنَا أَنْ نُخَاطِبَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ...)؛ فالمتعلمون ليسوا سواء في قدراتهم العقلية، أو مستوى الذكاء؛ فكل متعلم يحتاج إلى خطاب يناسبه، ومستوى يتناسب مع قدراته العقلية، ونضجه وسنه؛ لذا فعلى المعلم أن يقدم درسه بمستويات تناسب الجميع؛ مراعيا لهذه الفروق الفردية، وقد يسمى هذا المبدأ ب(مراعاة قدرات المتعلم)؛ فقدرات المتعلم تعد عنصرا مهما في عملية التعلم والتعليم؛ ومن الضروري تبعا لذلك أن تهيأ الظروف التي تتناسب مع قدرات المتعلمين(ضعيفي الذكاء، أو المتوسطين، أو ذوي القدرات الخاصة)؛ فلكل شريحة مراعاة خاصة تناسبها، وهناك مبادئ أخرى تؤثر في الفروقات الفردية منها: خصائص النمو، والعامل الثقافي، والدوافع والحوافز، والبيئة الاجتماعية؛ فكل هذه العوامل تؤثر في قدرات المتعلم. (القلا وآخرون، 2006، ص ص 118-119).

وتؤكد فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة، على أهمية الفروق الفردية، كعامل حيوي مؤثر للغاية في تكوين شخصية الإنسان وبالتدبر فيما خلق الله سبحانه عباده عليه، وبالملاحظة المتفحصة نجد أن الناس لم يخلقوا متساوين: فمنهم البدين والنحيف، ومنهم الذكي، ومتوسط الذكاء، والعادي، وليست الفروق الفردية موجودة بين أبناء المجتمعات المختلفة فقط، بل هي موجودة حتى بين أفراد الجماعة الواحدة، بل وبين مواليد التوائم المتحدة » أو « التوائم المنفصلة » من نفس الأبوين، وفي داخل الأسرة الواحدة.(الزنتاني، 1993، ص 211).

ولذلك فإن فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة، توجه العملية التربوية) بأساليبها وطرقها وبرامجها ومناهجها وأهدافها، والمسؤولين عنها، إلى الاهتمام التام للفروق الفردية بين الأشخاص، والعمل على تنميتها وصقلها وترقيتها وتهذيبها وتوظيفها على النحو الأمثل الذي يعود بالخير والفائدة على الفرد في حياته الخاصة ويمكنه من تحقيق آماله وطموحاته المشروعة، وفيما يعود بالنفع والصلاح على الجماعة بتكوين أعضاء أسوياء متزنين يساهمون في تحسين مستوى الأمة الإسلامية والنهوض بها.(الزنتاني، 1993، ص 212؛ الشيباني، 1986، ص ص 442-443).

الخلاصة من هذه القاعدة: أن الشيخ زروق في قاعدته 19 قد شمل ما يسمى تربويا بمبدأ الفروق الفردية، ووجوب مراعاة هذا المبدأ مع الناس عموما ومع المتعلمين خصوصا.

د. المطلب الرابع: بعض النماذج التربوية المضمنة في كتابه "قواعد التصوف" (ج):

في هذا المطلب نستعرض بعض النماذج المضمنة في كتابه قواعد التصوف، وقد أعطيت هذه النماذج في هذا المطلب الحرف (ج)، ومن هذه النماذج التربوية ما تضمنته القاعدة رقم 100 ؛ والتي نصت على:

" إِقَامَةُ الأَسْبَابِ مَلْحُوظٌ فِي الأَصْلِ بِحِكْمَةِ إِقَامَةِ العَالَمِ لِاسْتِقَامَةِ وُجُودِهِ، فَلِذَلِكَ ذُمَّ مَا خَالَفَ وُجُودَ حِفْظِ النِّظَامِ، وَوَقَعَ مُسْتَغْرَبًا فِي الوُجُودِ مِنَ الْأَسْبَابِ وَغَيْرِهَا، وَأَكَّدَتْهُ الغَيْرَةُ الإِلَهِيَّةُ بِلُزُومِ نَقِيضِ المَقْصِدِ، كَالفَقْرِ فِي الكِيمِيَاءِ، وَالذُّلِّ فِي طَلَبِ السِّيمِيَاءِ، وَمَيْتَةِ السُّوءِ فِي عِلْمِ النُّجُومِ؛ لِأَنَّ الكُلَّ خُرُوجٌ عَنْ حِكْمَةِ الْأَسْبَابِ، وَمُعَانَدَةٌ لِحُكْمِ الحَقِّ، وَمُقَاوَمَةٌ لَهُ فِي طَلَبِ الْأَكْمَلِ بِالْمَوْهُومِ.

وَيَزِيدُ الأَخِيرُ بِالتَّجَسُّس عَلَى مَمْلَكَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ، كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ فِي التَّنْوِيرِ، وَلِكُلٍّ نَصِيبٌ مِمَّا لِصَاحِبِهِ وَإِنِ اخْتَلَفَ البِسَاطُ."(زروق، د.ت، ص ص 169-170).

تشير هذه القاعدة إلى مبدأ تربوي إسلامي وهو مبدأ الأخذ بالأسباب، وتجنب بعض ما خرج عن الأسباب كاتباع السحر والشعوذة وما أدى إليهما؛ فالله جل جلاله خلق هذا العالم، وجعل للطبيعة أسبابها؛ فجعل النار تحرق؛ وجعل من أسباب المطر السحاب؛ وجعل الرزق بالتكسب والسعي، وأمر بالعمل؛ وجعل سبب دخول الجنة العمل الصالح والتقوى، وجعل سبب دخول النار الذنوب والمعاصي والمحرمات؛ فالله جعل لكل شيء سببا؛ وأمر الإنسان أن يتبع الأسباب ثم يتكل على الله تعالى.

وهذا بالطبع من مبادئ التربية الإسلامية عموما، بل لا يختلف الأمر حتى في التربية العامة؛ فما العلوم التجريبية التي تشير إليها التربية العامة إلا نموذجا للأخذ بالأسباب؛ ولهذا تفوقت علينا الأمم في هذا العصر لاتباعها قانون الأسباب؛ فتفننت في علوم التجريب؛ حتى توصلت إلى تكنولوجيا التقدم الذي نعيشه الآن.

ولا ريب أن هناك علاقة ثابتة راسخة بين الأسباب ومسبباتها، يمكن أن يلاحظها الإنسان، في كثير من أحداث العالم الذي يعيش فيه؛ مثال ذلك العلاقة بين الأكل والشبع، والعلاقة بين فعل القاتل والوفاة، أو بين وجود الولد ووجود والديه، أو بين جودة العمل وإتقان العامل، أو بين جودة الثمر وخدمة الشجر، إلى غير ذلك من حوادث العالم التي يظهر فيما بينها نوع من العلاقة السببية، والتي تدل دلالة واضحة على أن من بين القوانين الطبيعية التي يخضع لها هذا العالم - بعلم الله وإرادته - هو قانون السببية الذي يتضمن تأكيد العلاقة بين الأسباب ومسبباتها؛ فكل ما في هذا العالم يرتبط بعضه ببعض ارتباط الأسباب بالمسببات، فما يحدث الآن يكون حدوثه نتيجة لما سبقه، وسبباً لوجود ما بعده. وهذا هو قانون الطبيعة الذي جعله الله فيها لتخضع له وتسير عليه باطراد، والآيات الدالة على الأسباب ومسبباتها كثيرة وهي تشير إلى هذا القانون الطبيعي؛ فالأفلاك والنجوم وسائر أنواع الخليقة لها طريقها المرسوم، وحركات هذه الأفلاك وحوادث الطبيعة وكثير من مجرياتها في الإنسان وعليه خاضعة لهذا القانون.

وأما الآيات الأخرى التي تشير إلى الإنسان بنوع خاص فينبغي أن تفهم على ضوء الآيات الأخرى التي تؤكد فاعلية الإنسان على ضوء ما عرف بالضرورة في الإسلام، من أن الإنسان مسؤول عن كل أفعاله الاختيارية. (الشيباني، 1986، ص 51).

والمسلم المعتدل في اعتقاده في الوقت الذي يؤمن فيه بمبدأ أو قانون السببية فإنه يدخل على هذا المبدأ أو القانون بعض القيود التي تجعله أكثر تمشياً مع روح عقيدة التربية الإسلامية، ومن هذه التحفظات الإيمان بأن الوجود ليس مرجعه فقط إلى السبب المادي المباشر؛ وإنما يرجع إلى الله تعالى الموجد الحقيقي لكل ما في الكون بما في ذلك الأسباب المادية التي نشأت عنها؛ ومعنى هذا أنه إذا حدث شيء يخالف طبيعة الأسباب في بعض الأحيان؛ كمعجزات الأنبياء مثلا؛ فالنار لم تحرق سيدنا إبراهيم عليه السلام بالرغم من أن طبيعتها الحرق؛ والقرآن الكريم أعجز البشر أن يأتوا بمثله؛ بالرغم من قدرتهم على اللغة التي تألف من حروفها وكلماتها؛ كل هذا يدل في التربية الإسلامية على أن الله هو المسبب الحقيقي للأسباب. (الشيباني، 1986، ص ص 51-52).

والشيخ زروق كما ذكرنا في هذه القاعدة التربوية ينبه إلى احترام الأسباب التي أوجدها وخلقها الله تعالى بمشيئته؛ وأن اتباع الطرق الملتوية كالسحر والشعوذة لمحاولة مخالفة الأسباب هو من العبث والمحرمات التي ابتلى بها الإنسان ليميز بين من يؤمن به ومن يكفر، ومن خصائص التربية الإسلامية أن تبعد ناشئتها وأجيالها عن هذه الطرق المنحرفة التي لا توصل إلا سوء الخاتمة على النفس وعلى الآخرين من بني الجنس البشري الواحد.

ومن النماذج التربوية أيضا ما تضمنته القاعدة رقم 105 والتي نصت على:" تَمْرِينُ النَّفْسِ فِي أَخْذِ الشَّيْءِ وَتَرْكِهِ، وَسَوْقُهَا بِالتَّدْرِيجِ، أَسْهَلُ لتحْصِيلِ المُرَادِ مِنْهَا، فَلِذَا قِيلَ: «تَرْكُ الذُّنُوبِ أَيْسَرُ مِنْ طَلَبِ التَّوْبَةِ». وَمَنْ تَرَكَ شَهْوَتَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ، كُلَّمَا عَرَضَتْ لَهُ تَرَكَهَا، لَمْ يُبْتَلَ بِهَا . وَاللهُ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُعَذِّبَ قَلْبًا بِشَهْوَةٍ تُرِكَتْ لِأَجْلِهِ.

وَقَالَ المُحَاسِبِيُّ فِي صِفَةِ التَّوْبَةِ: «إِنَّهُ يَتُوبُ جُمْلَةً، ثُمَّ يَتَتَبَّعُ التَّفَاصِيلَ بِالتَّرْكِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْكَنُ لَهُ». وَهُوَ صَحِيحٌ ، وَاللهُ أَعْلَمُ".(زروق، د.ت، ص 174).

في هذه القاعدة نجد مبدأ تربويا نادى به معظم التربويين قديما وحديثا؛ من العلماء التربويين المسلمين وغير المسلمين؛ واتفق معظمهم في هذا المبدأ حتى في التربية الحديثة؛ هذا المبدأ وهو ما يسمى مبدأ التدرج في التربية والتعليم والتدريب، وقد سماه شيخ زروق في هذه القاعدة بالتدريج.

وهذا المبدأ يعني أن على المربي أن يعالج أنفس الناشئة أو المتعلمين وعقولهم بمبدأ التدرج في التعلم والتعليم والتدريب؛ وهذا ما أشار إليه ابن خلدون في طريقته التربوية؛ حيث يرى ابن خلدون أنه ينبغي أن يراعى في التدريس التدرج والتكرار، أو الإجمال في البدء ثم التفصيل، ويجب أن يكون تعليم الناشئين قائماً على أساس إجمال المعلومات في البداية، على أن يكون التفصيل بعد ذلك التدريج، فتلقى على الناشئ أولاً مسائل من كل باب من الفن ثم يقربها المدرس من أذهان التلاميذ بالشرح الواضح، مراعياً في ذلك درجة نموهم العقلي، وقدرة استعدادهم لقبول ما يلقى عليهم، حتى ينتهي إلى آخر الفن على هذا النحو.

وابن خلدون يتفق والتربية الحديثة في ضرورة مراعاة الاستعدادات والمواهب الفطرية في التدريس، ثم يعود المدرس مرة ثانية إلى هذا الفن فيرفع الناشئ في التلقين مرتبة أعلى من الأولى باستيفاء الشرح والبيان، والخروج من الإجمال والتفصيل، حتى ينتهي إلى آخر الفن، ثم يعود مرة ثالثة إلى هذا الفن أيضاً، فلا يترك مسألة عويصة منه، ولا مشكلة من مشكلاته، ولا مبهما أو مغلقا من أبوابه إلا وضحه وزاده بيانا، وفتح مغلقه.(العمراني، 2014، ص 185).

وهذا يتفق مع ما أشار إليه الإمام زروق في تربية النفس وترويضها على طريق التوبة من الذنوب والمعاصي؛ والاختلاف بينهما أن زروق هنا يستخدم التدرج في تربية النفس على التوبة، ويستخدمه ابن خلدون في تعليم الناشئة، وكل أساليب التدرج نابعة من التربية الإسلامية؛ والتي هي مستوحاة من نصوص عديدة من القرآن والسنة، ولا تختلف التربية الإسلامية في هذا مع التربية العامة الشائعة في الأوساط التعليمية العالمية.

ومن النماذج التربوية عند زروق في قواعده أيضا ما تضمنته القاعدة رقم 109 والتي نصت على:" مَا خَرَجَ مَخْرَجَ التَّعْلِيمِ وُقِفَ بِهِ عَلَى وَجْهِهِ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نقص، فَلَقَدْ رُوِيَ أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَذْكُرُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ، وَاللهُ أَكْبَرُ، مِئَةً مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ، فَرَأَى كَأَنَّ قَائِلًا يَقُولُ: أَيْنَ الذَّاكِرُونَ أَدْبَارَ الصَّلَوَاتِ؟ فَقَامَ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ فَلَسْتَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا هَذِهِ المَزِيَّةُ لِمَنِ اقْتَصَرَ عَلَى الثَّلَاثَةِ وَالثَّلَاثِينَ.

فَكُلُّ مَا وَرَدَ فِيهِ عَدَدٌ قُصِرَ عَلَيْهِ، وَكَذَا اللَّفْظُ . نعم، اخْتُلِفَ فِي زِيَادَةِ سَيِّدِنَا فِي الْوَارِدِ مِنْ كَيْفِيَّةِ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ صلى الله عليه وسلم، وَالوَجْهُ أَنْ يُقْتَصَرَ عَلَى لَفْظِهِ حَيْثُ تُعُبِّدَ بِهِ، وَيُزَادَ حَيْثُمَا يُرَادُ الفَضْلُ فِي الجُمْلَةِ.

وَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِي فِي زِيَادَةِ: «وَارْحَمْ مُحَمَّدًا»: إِنَّهُ قَرِيبٌ مِنْ بِدْعَةٍ ، وَذَكَرَهُ فِي العَارِضَةِ) ، وَاللهُ أَعْلَمُ."(زروق، د.ت، ص 181).

هذه القاعدة خاصة خالصة بالتعليم في التربية الإسلامية، وهو تعليم الأمور الدينية للمسلم؛ فهي لا تمت إلى التربية العامة بصلة؛ فهي نابعة من نصوص القرآن الكريم وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهي تعني: إلزام المتعلم المسلم بما ورد في النصوص الإسلامية وعدم مخالفته؛ كالأعداد التي حددها الرسول ص للأذكار، أو عدد الصلوات المفروضة وركعاتها؛ فهي تعاليم دينية غير قابلة للزيادة والنقصان؛ فهي من قبيل

الوحي، ومخالفتها تعد من البدع، وقد يدخل بعضها في المحرمات؛ وإن كان اعتقادا وإنكارا فقد يدخل الإنسان المسلم في الردة والكفر.

هـ. المطلب الخامس: بعض النماذج التربوية المضمنة في كتابه "قواعد التصوف" (د):

في هذا المطلب نستعرض بعض النماذج المضمنة في كتابه قواعد التصوف، وقد أعطيت هذه النماذج في هذا المطلب رقم 4، ومن هذه النماذج التربوية ما تضمنته القاعدة رقم 197 ؛ والتي نصت على:

"المَسْبُوقُ بِقَوْلٍ إِنْ نَقَلَ بِاللَّفْظِ تَعَيَّنَ العَزْوُ لِصَاحِبِهِ وَإِلَّا كَانَ مُدَلِّسًا، وَكَذَا بِالمَعْنَى المُحَاذِي لِلَفْظِ القَائِلِ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ عَلَيْهِ بِالإِشَارَةِ لِوَجْهِ نَقْلِهِ. فَإِنْ وَقَعَ لَهُ تَصَرُّفٌ يُمْكِنُ تَمْيِيزُ الوَجْهِ مَعَهُ مِنْ غَيْرِ إِخْلَالٍ بِالكَلَامِ لَزِمَ بَيَانُ كُلِّ بِوَجْهِهِ، وَإِلَّا فَاطِّلَاقُهُ أَوْ نِسْبَتُهُ لَهُ إِنْ تَحَقَّقَ تَصَرُّفُهُ فِيهِ أَوْلَى لِيُنْظَرَ فِيهِ مَعَ مَا زِيدَ عَلَيْهِ وَمَا نُقِلَ إِلَيْهِ، إِذْ قَدْ قِيلَ: «مَنْ نَقَلَ بِالْمَعْنَى فَإِنَّمَا يَنْقُلُ فَهْمَهُ؛ لِأَنَّهُ رُبَّمَا كَانَ فِي اللَّفْظِ مِنْ زِيَادَةِ المَعَانِي مَا لَا يُشْعِرُ بِهِ الرَّاوِي بِالْمَعْنَى، وَلَوْ فِي القَمْحِ بِالبُرِّ». وَلَا يَلْزَمُ مِنَ التَّكْمِيلِ وَالتَّرْجِيحِ وَالتَّقْوِيَةِ هَضِيمَةُ الْأَوَّلِ، وَلَا دَعْوَى الثَّانِي ، فَإِنَّ إِلْزَامَ ذَلِكَ مُخَلٌّ بِإِظْهَارِ الحَقِّ، ثُمَّ إِنْ أُلْزِمَهُ فَلِسَانُ العِلْمِ فَصِيحٌ، فَمَا لَمْ يَصِحَّ رُدَّ عَلَى قَائِلِهِ، وَإِلَّا كَانَ قَدْ بَاءَ مُتَّهِمُهُ بِالجُحُودِ، فَافْهَمْ."(زروق، د.ت، ص 275).

في هذه القاعدة نتعلم من شيخ زروق مبدأ تربويا عاما وعالميا أصبح من المتفق عليه لدى الباحثين والعلماء، وأصبح من الآداب التي على الباحث والعالم والكاتب أن يلتزموا بها خلقيا؛ ألا وهو مبدأ الأمانة العلمية في النقل من المصادر والمراجع، ثم إسناد الأقوال والأفكار إلى أهلها الذين كان لهم سبق الفضل في إنشائها، أو تطويرها وتنقيحها، وهذا لا يعني عند شيخ زروق أن يكون الباحث عالة على كل من سبقه؛ بل له حق النقد والإضافة والنقل بالمعنى؛ وهذه واضحة من خلال قراءة هذه القاعدة التي تمثل مبدأ من مبادئ التربية عموما، وأصول البحث العلمي خصوصا، ونجد هذا واضحا في الكتب المختصة بالبحث العلمي بمختلف أنواعه.

ومن النماذج التربوية عند زروق في قواعده أيضا ما تضمنته القاعدة رقم 200 والتي نصت على:" العِلْمُ بُرْهَانُهُ فِي نَفْسِهِ، فَمُدَّعِيهِ مُصَدَّقٌ بِاخْتِبَارِهِ، مُكَذَّبٌ بِاخْتِلَالِهِ. وَالذَّوْقُ عِلْمُهُ مَقْصُورٌ عَلَى ذَائِقِهِ، فَدَعْوَاهُ ثَابِتَةٌ بِشَوَاهِدِ حَالِهِ، كَاذِبَةٌ بِهَا. لَكِنْ قَدْ يَتَطَرَّقُ الغَلَطُ لِلنَّاظِرِ مِنْ عَدَمِ تَحْقِيقِهِ؛ لِهَوَى يُخَالِطُهُ، فَلَزِمَ اقْتِصَارُهُ عَلَى مَا صَحَّ وَاشْتَهَرَ فِي النَّفْيِ، لَا فِي الإِثْبَاتِ؛ إِذْ غَلَطُهُ فِي النَّفْيِ إِذَايَةٌ، وَفِي الإِثْبَاتِ إِحْسَانٌ.

وَلَيْسَ لِذِي الذَّوْقِ الانْتِصَارُ لِنَفْسِهِ بِوَجْهٍ، إِلَّا أَنْ يَتَعَلَّقَ بِهِ أَمْرُ شَرْعِيٍّ مِنْ هِدَايَةِ مُرِيدٍ أَوْ إِرْشَادِ ضَالٍّ لَا يُمْكِنُ بِغَيْرِ دَعْوَاهُ. وَفِيمَا ظَهَرَ مِنَ الحُجَّةِ كِفَايَةٌ لِتُعْرَفَ المَحَجَّةُ، فَلَا حَاجَةَ بِإِظْهَارِ الخَصَائِصِ لِغَيْرِ الخَوَاصِ، فَافْهَمْ."(زروق، د.ت، ص ص 299-300).

في هذه القاعدة نلاحظ المبدأ التربوي الذي يجب أن يُنشَّأ عليه ناشئة المجتمع؛ ألا وهو قناعتهم بأن العلم لا يجامل أحدا، وأن العلم ليس بالعواطف؛ فالعلم كالحقيقة؛ فالحقيقة برهان صدقها من نفسها، ولن تغير مختلف الأقوال من الحقيقة شيئا؛ كذلك هو العلم، برهانه من نفسه كما يقول شيخ زروق؛ فالعلم وصحة العلم يخضع مدعيه للاختبار؛ فإن أظهرت نتائج الاختبار ودلت على الصدق فهو صادق، والباحث صادق، وإن كان الاختبار خلاف الواقع؛ فيجب دحض ذلك بسبب اختلال البرهان والدليل المصدق له.

وعلينا كمربين أن نرسخ هذه القاعدة العلمية في أذهان ناشئة مجتمعنا؛ حتى نكون مجتمعا علميا صحيحا يعتمد في حياته على العلم والمعرفة لا على الخرافات والأوهام.

كما يبين شيخ زروق بأن هناك فنونا أخرى لا يطلق عليها علما كالآداب ومختلف الفنون؛ فتلك لا تخضع إلى القواعد العلمية بل إلى الأذواق، والتي هي مختلفة بين شخص وآخر؛ إلا أن الذوق العام لتقييم الفنون قد يتشارك أو يتقارب فيه الأفراد؛ حتى يتكون رأي شبه جمعي على جمال فن لدى طرف دون آخر؛ حيث إن جمال الأشياء لا يخفي نفسه، ولا يختلف فيه إلا القلة لسبب ما.

ومن فوائد هذه القاعد أيضا أن نربي أجيالنا ومتعلمينا على عدم الانتصار للنفس أو الرأي ولو بالباطل؛ فغالبا ما تكون نتيجة هذا الانتصار عقيمة لا تولد علما صحيحا، ولا ذوقا سليما.

ومن النماذج التربوية عند زروق في قواعده أيضا ما تضمنته القاعدة رقم 212 والتي نصت على:" تَعْرِيفُ العُيُوبِ مَعَ السَّتْرِ نَصِيحَةٌ ، وَمَعَ الإِشَاعَةِ وَالهَتْكِ فَضِيحَةٌ ،فَمَنْ عَرَّفَكَ بِعَيْبِكَ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ الغَيْرُ فَهُوَ النَّاصِحُ، وَمَنْ أَعْلَمَكَ بِعَيْبِكَ مَعَ شُعُورِ الغَيْرِ فَهُوَ الفَاضِحُ.

وَلَيْسَ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَفْضَحَ مُسْلِمًا إِلَّا فِي مُوجَبِ حُكْمٍ بِقَدْرِهِ مِنْ غَيْرِ تَتَبُّعٍ لِمَا لَا تَعَلَّقَ لَهُ بِالحُكْمِ، وَلَا ذِكْرِ عَيْبٍ أَجْنَبِي عَنْهُ، وَإِلَّا انْقَلَبَ الحُكْمُ عَلَيْهِ بِقَهْرِ القُدْرَةِ الإِلَهِيَّةِ حَسَبَ الحِكْمَةِ الرَّبَّانِيَّةِ وَالوَعْدِ الصَّادِقِ الَّذِي جَاءَ فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : «لَا تُظْهِرِ الشماتة بِأَخِيكَ ، فَيُعَافِيَهُ اللَّهُ وَيَبْتَلِيكَ».

وَنَهَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَنِ التَّثْرِيبِ لِلْأَمَةِ عِنْدَ جَلْدِهَا فِي الزِّنَا، فَكَيْفَ بِالحُرِّ الْمُؤْمِنِ القَائِمِ الحُرْمَةِ بِإِقَامَةِ رَسْمِ الشَّرِيعَةِ ؟!. وَقَدْ صَحَّ : مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ أَقَالَ مُسْلِمًا عَثْرَتَهُ أَقَالَ اللَّهُ عَثْرَتَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ) الحَدِيثُ.(زروق، د.ت، ص ص 314-315).

ترتبط هذه القاعدة الجليلة بالتربية الأخلاقية، وأدب التعامل مع الآخرين، وكيفية النصح لهم؛ وواضح أن هذه القاعدة مستوحاة من تعاليم الكتاب والسنة التي تعلمها شيخ زروق، وما هذه القاعدة إلا شرح وتبيان لما فهمه الشيخ من الكتاب والسنة؛ فالدين النصيحة؛ ولكن النصيحة لها شروطها وآدابها؛ حتى تؤتي ثمارها المرجوة؛ فيقول: بأن النصيحة للمسلم بتبيان عيوبه له؛ ليجتنبها مع شرط الستر، تلك هي النصيحة الحقيقية؛ أما تبيان عيوب الناس أمام الناس؛ فهي الفضيحة التي لن تجر من ورائها إلا الإثم والبغضاء، وقد تكون عواقبها ضارة جدا.

واستشهاد شيخ زروق بالنصوص من الحديث والسنة في مختلف قواعده فيه دلالة على باعه الطويل في فهم الوَحْيَيْن، وفيه سرعة التعرف على مواقع الشواهد والأدلة.

ومن القواعد التربوية الجليلة أيضا ما تضمنته القاعدة 219؛ حيث نصت على:" بَوَاعِثُ العَمَلِ: وُجُودُ الخَشْيَةِ، وَهِيَ تَعْظِيمٌ يَصْحَبُهُ مَهَابَةٌ، أَوِ الخَوْفُ وَهُوَ انْزِعَاجُ القَلْبِ مِنِ انْتِقَامِ الرَّبِّ، وَالرَّجَاءُ وَهُوَ السُّكُونُ لِفَضْلِهِ تَعَالَى، بِشَوَاهِدِ العَمَلِ فِي الجَمِيعِ وَإِلَّا كَانَ الكُلُّ اغْتِرَارًا.

وَالحُبُّ عَلَامَةُ كَمَالِهِ العَمَلُ بِمَا يُرْضِي المَحْبُوبَ، فَإِنْ خَرَجَ عَنْ كُلِّ وَجْهٍ يُرْضِيهِ فَلَا حُبَّ، وَبَعْضُ التَّقْصِيرِ لَا يَقْدَحُ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: لَا تَلْعَنْهُ فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ »، وَقَدْ أُوتِيَ بِهِ فِي شُرْبِ الخَمْرِ مِرَارًا، وَكَذَا حَدِيثُ الأَعْرَابِيُّ الَّذِي قَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَقَالَ: «مَا أَعْدَدْتَ لَهَا ؟ فَقَالَ: لَا شَيْءٍ، إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ.

نَعَمْ، المُحِبُّ لَا يَرْضَى بِمُخَالَفَةِ مَحْبُوبِهِ، فَهُوَ لَا يُمْكِنُ الإِصْرَارُ مِنْهُ، وَإِنْ غَلَبَتْ شَهْوَةٌ وَنَحْوُهَا بَادَرَ لِمَحَلِّ الرِّضَى مِنَ التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ، فَافْهَمْ"(زروق، د.ت، ص ص 324-325).

في هذه القاعدة الجليلة نجد التأكيد على مبدأ تربوي ألا وهو إيجاد الدوافع والحوافز للعمل؛ فالعمل الصحيح يتحقق عند وجود دافع قوي، أو حافز مؤثر، وقد تكون هذه الدوافع التي سماها شيخ زروق بالبواعث على العمل؛ قد تكون سلبية كالخوف من العاقبة والعقوبة، وقد تكون إيجابية مصدرها الرجاء، أو المحبة؛ فالمؤمنون وعباد الله المتقين من الصالحين وأولياء الله؛ غالبا ما نجد أكبر الدوافع والبواعث على الأعمال الصالحة لديهم هي محبة الله تعالى، والسعي إلى رضاه، ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته خير قدوة، ومن بعدهم من التابعين كرابعة

العدوية التي اشتهرت بمحبتها لله تعالى، ومنهم أيضا شيخ وإمام بحثنا الشيخ زروق؛ فدافع المحبة لله ولرسوله ص؛ هي أكبر الدوافع وراء جهوده في العلم والعمل والعبادة، ونفع الناس بتلك العلوم الطيبة.

وأخيرا؛ يشير الباحث إلى ما تضمنته الخاتمة من بعض المبادئ التربوية التي لا يسع مجال البحث إلى المزيد من توضيحها حفاظا على الإيجاز والمقصود والهدف.(زروق، د.ت، ص ص 337-339).

وإلى هنا وبهذه القاعدة وما تشير إليه يكون الباحث قد استوفى غرضه من هذا البحث؛ ألا وهو عرض بعض النماذج التربوية كشواهد وأدلة على نبوغ شيخ زروق في الجانب التربوي بمعناه العام والخاص والإسلامي، وجهوده الكبيرة في هذا المجال.

كان عرض بعض هذه القواعد ليس لشرحها، ولا لاستيعابها جميعا وما فيها من مبادئ تربوية متنوعة؛ بل كان ذكرها والتعليق عليها كما ذكر آنفا لتكون كشواهد على نبوغ شيخ زروق في المجال التربوي، وكذلك ذكر جهوده في نشرها والحث على العمل بها، ومن أراد التعرف على تلك القواعد وعلى شروحاتها، والانتفاع بها؛ فما عليه إلا الرجوع إلى بعض هذه المراجع، وهي كثيرة منها:(زروق، د.ت؛ وزروق، 2007؛ وحبيشي، 2015).

5. الخاتمة:

في هذه الخاتمة يلخص الباحث ما توصل إليه من نتائج وهي:

1- اتضح لنا من خلال هذا البحث قيمة الجهود التربوية التي قدمها الإمام زروق للأمة الإسلامية من خلال العديد من كتبه، ومنها كتاب قواعد التصوف.

2- اتضح لنا من خلال عرض بعض النماذج من قواعده ما تضمنته من مبادئ وقيم تربوية رفيعة.

3- اتضح لنا من خلال البحث كثرة ما تركه شيخ زروق من كتب في مجالات متنوعة وأكثرها ما يتعلق بعلم التصوف والسلوك.

ويوصي الباحث: بزيادة الاهتمام بتراث الشيخ زروق؛ ففيه الكثير من الكنوز المعرفية التي تحتاج المزيد من البحث والشرح والتوضيح.

ويقترح الباحث الآتي:

1- إقامة مؤتمر خاص بالشيخ زروق ودراسة تراثه؛ تحديثا للمؤتمر الذي أقيم في الثمانينيات بمناسبة مرور خمسمائة عام على وفاته.

2- إجراء دراسات وبحوث أخرى في مجالات متنوعة من تراثه.

6. المراجع والمصادر:

1. ابن منظور، محمد بن مكرّم(د. ت) **لسان العرب**، ت: عبد الله الكبير، محمد حسب الله، هاشم الشاذلي، (ط جديدة مشكلة)، مصر، القاهرة: دار المعارف.
2. أبوعجيلة، مصطفى عبد الرحيم(2014) **الشيخ أحمد زروق- محتسب العلماء ومجدد القرن العاشر الهجري**، (ط1)، ليبيا، مصراتة: مكتبة ابن نصر.
3. جعفر، محمد كمال(1970) **التصوف: طريقا وتجربة ومذهبا**، مصر، القاهرة: دار الكتب الجامعية.
4. الجلاد، ماجد زكي(2011) **تدريس التربية الإسلامية- الأسس النظرية والأساليب العملية**، (ط2)، الأردن، عمان: دار المسيرة.
5. الحازمي، خالد بن حامد(2000) **أصول التربية الإسلامية**، (ط1)، السعودية، الرياض: دار عالم الكتب.
6. حبيشي، طه الدسوقي(2015) **المرشد المعرّف بمعاني وأسرار قواعد التصوف**، مج 1-5 (ط1)، مصر، القاهرة: مكتبة الإيمان، ومكتبة الجامعة الأزهرية.
7. الحكيم الترمذي، محمد بن علي(2007) **رسالة كيفية السلوك إلى رب العالمين**، ت: عاصم إبراهيم الكيالي (ط1)، لبنان، بيروت: دار الكتب العلمية.
8. الخالدي، مريم ارشيد(2008) **نظام التربية والتعليم**، (ط1)، الأردن، عمان: دار صفاء.
9. خشيم، علي فهمي(1980) **أحمد زَرُّوق والزروقية**، دراسة (ط2) طبعة خاصة بمناسبة مهرجان زروق(الذكرى 500 لوفاته)، ليبيا، طرابلس: المنشأة الشعبية للنشر.
10. خشيم، علي فهمي(2002) **أحمد زَرُّوق والزروقية**، دراسة (ط3)، لبنان، بيروت: دار المدار الإسلامي.
11. زَرّوق، أحمد بن أحمد الفاسي البرنسي(د. ت) **قواعد التصوف وشواهد التعرف**، ت: نزار حمادي (ط1)، الإمارات، الشارقة: المركز العربي للكتاب.
12. زَرّوق، أحمد بن أحمد الفاسي البرنسي(1980) **الكناش**، ت: علي فهمي خشيم (طبعة خاصة بمناسبة مهرجان زروق، الذكرى 500 لوفاته)، ليبيا، طرابلس: المنشأة الشعبية للنشر.
13. زَرّوق، أحمد بن أحمد الفاسي البرنسي (1996) **عدة المريد الصادق**، ت: الصادق الغرياني (ط1)، ليبيا، طرابلس: مكتبة طرابلس العلمية العالمية.
14. زَرّوق، أحمد بن أحمد الفاسي البرنسي(2004) **قواعد التصوف**، ت: عثمان الحويمدي (ط1)، لبنان، بيروت: دار وحي القلم.
15. زَرّوق، أحمد بن أحمد الفاسي البرنسي(2007) **قواعد التصوف**، ت: عبد المجيد خيالي (ط3)، لبنان، بيروت: دار الكتب العلمية.
16. الزنتاني، عبد الحميد الصيد(1993) **فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة**، (ط1)، ليبيا، طرابلس: الدار العربية للكتاب.
17. سعادة، جودة؛ إبراهيم، عبدالله محمد(2011) **المنهج المدرسي المعاصر**،(ط6)، الأردن، عمان: دار الفكر.
18. الشيباني، عمر محمد التومي(1986) **فلسفة التربية الإسلامية في القرآن والسنة**، (ط6)، ليبيا، طرابلس: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان.
19. العمراني، عبد الغني محمد(2014) **أصول التربية**، (ط2)، اليمن، صنعاء: دار الكتاب الجامعي.
20. الفريجات، غالب عبد المعطي(2014) **مدخل إلى تكنولوجيا التعليم**، (ط2)، الأردن، عمان: دار كنوز المعرفة.
21. قريو، محمد مفتاح(1970) **تراجم أعيان العلماء من أبناء مصراتة القدماء**، (ط1)، مصر، القاهرة: مطبعة النهضة الجديدة.
22. القطعاني، أحمد(1992) **الحجة المؤتاة في الرد على صاحب كتاب إلى التصوف يا عباد الله**، (ط2)، ليبيا، طرابلس: مكتبة النجاح.
23. القلا، فخر الدين؛ ناصر، يونس؛ جمل، محمد جهاد(2006) **طرائق التدريس العامة في عصر المعلومات**،(ط1)، الإمارات، العين: دار الكتاب الجامعي.
24. الكلاباذي، محمد بن إسحاق(1993) **التعرف لمذهب أهل التصوف**، ت: أحمد شمس الدين (ط1)، لبنان، بيروت: دار الكتب العلمية.
25. اللقاني، أحمد حسين(2013) **المناهج بين النظرية والتطبيق**، (ط4)، مصر، القاهرة: دار عالم الكتب.
26. مجمع اللغة العربية(2004) **المعجم الوجيز**، (ط. خاصة بوزارة التربية والتعليم)، مصر، القاهرة: مجمع اللغة العربية/ الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.
27. مرسي، محمد منير(2009) **أصول التربية**، (ط1)، مصر، القاهرة: دار عالم الكتب.
28. هاشم، مودة اسطفان، وفرح، إبراهيم، والعنيسي، رنا. (2019م). **دليل الأطروحات والرسائل الجامعية العربية: الأخلاقيات والتنظيم والاستشهاد المرجعي**.(مرتكز على دليل الجمعية الأمريكية لعلم النفس الطبعة السادسة). بيروت، لبنان: شبكة المعلومات العربية التربوية(شمعة)، السويدكو.

مواقع الإنترنت:

- وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.(2022). دليل المواصفات الفنية والشكلية لكتابة الرسائل والأطروحات العلمية في الجامعات الليبية. منشور بموقع الأكاديمية الليبية للدراسات العليا. متوفر على:

https://academy.edu.ly/ar/announcements

تاريخ آخر دخول: 2024/1/20